

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et populaire.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministre de L'enseignement Supérieure et de La Recherche Scientifique

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

Université Chadli Bendjedid el Taref

كلية الآداب واللغات

Faculté des Lettres et des Langues

قسم اللغة العربية وآدابها.

Département de la langue Arabe

ملاحح الدرس اللساني الجغرافي في كتابي الخصائص والمحتسب لابن جني (نماذج مختارة)

مذكرة مكملة من مستلزمات نيل شهادة الماستر أكاديمي.

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: لسانيات تطبيقية.

إشراف الأستاذ الدكتور: رشيد حليم.

إعداد الطلبة: - سلوى لوكيل

- عادة قريرة

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة
مفيدة بن وناس	أستاذة محاضرة -أ-	رئيسا
رشيد حليم	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
رمضان عابد	أستاذ مساعد -أ-	مناقشا

السنة الجامعية: 1443هـ / 1444هـ، 2021م/2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

بداية الشكر لله عزّ وجلّ الذي أعاننا وشدّ من عزمنا لإكمال هذا البحث، ونشكره ساجدين، الذي وهبنا الصبر والإرادة والتحدي والحب لنجعل من هذا المشروع علماً ينتفع به.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ}.

وننقدم بأجمل عبارات الشكر والامتنان من قلوب فائضة بالمحبة والاحترام والتقدير له. ونقدم أزكى تحياتنا وأجملها وأثناها نرسلها لك بكل الود والحب والإخلاص... شاكرين لك كل ما قدمته وما نصحت لنا به في إشرافك على هذا البحث، فلك منا كل الشكر والامتنان وجزاك الله كل خير.

الأستاذ الدكتور الفاضل "حليم رشيد"

وننقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى جميع أعضاء هيئة المناقشة.

كما نشكر كل من مدّ لنا يد المساعدة والعون من قريب وبعيد

ونشكر كل أساتذة كلية الآداب واللغات وكل أعضاء الإدارة

إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى أما بعد: الحمد لله الذي وفقنا لتتمة هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضلته تعالى.

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى أعز وأغلى إنسانة في حياتي، التي أنارت دربي بنصائحها، وكانت بحرا صافيا يجري بفيض الحب والبسمة إلى من منحتني القوة والعزيمة لمواصلة الدّرب، إلى من علمتني الصبر والاجتهاد، الغالية على قلبي:

أمي "بلهوان زهرة"

وإلى أبي الغالي "لوكيل عبد الرزاق"

وإلى إخواني: أسامة، حمدي، ضياء، يونس، محمد، وإلى أختي العزيزة وفاء وإلى زوجها الكريم "جلال بوعكاز"، وإلى الكتكوت الصّغير "عبد المعين".

وإلى زوجي زهاني.

وإلى كل العائلة الكريمة عائلة لوكيل، زهاني، بوشارب.... وزملاء الدّراسة متمنية لهم التوفيق وإلى أصدقائي الأعزاء.

وإلى كل الأساتذة وخاصة أساتذة كلية الآداب واللغات، وإلى من ساعدتني في كتابة هذه المذكرة "قريّة عادة".

وإلى كل الأشخاص الذين أحمل لهم المحبة والتقدير.

وإلى كل عضو وفرد في جامعة الرئيس الشاذلي بن جديد الطارف.

وإلى روح جدّي وجدتي الطاهرتين

سـلـوى



إهداء

ما أجمل أن يجود المرء بأعلى ما لديه والأجمل أن يهدي الغالي للأعلى، هذه ثمرة جهدي أهديتها إلى أجمل كائنين منحاني الحب والقوة والصبر والاجتهاد وضحي من أجلي بالغالي والنفيس

"عجمي قريرة" و"فضة رزقان"

وإلى شريك حياتي "فارس ميرة" الذي كان دائما سنداً لي في دراستي رغم كل الظروف، ولولاه لما استطعت مواصلة دربي.

وإلى فلدة كبدي "تاج الدين"، وإلى أخي الغالي على قلبي أيضاً "أيمن قريرة"، وإلى والدي زوجي "ميرة حمدة" و"عريف الحرة".

وإلى أخواتي التي لم تلدهم أُمِّي "صورية"، "جهيدة"، "دليلة"، "مليكة"، هناء، وإلى كتاكيت العائلة.

وإلى رفقائي وزملائي في طلب العلم وأخص "سلوى لوكيل" التي كانت دائماً معي في مشواري الجامعي.

وإلى كل من ربطني به رباط المعرفة وإلى كل أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها.

غادة



مقدمة

مقدمة

مقدمة:

تُعتبر اللسانيات من بين أهم العلوم التي ظهرت في العصر الحديث أواخر القرن 19م على يد العالم اللغوي الكبير "دي سوسير" والذي كان بدوره متأثراً بالتراث اللغوي العربي القديم، واللّسانيات علم يدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، وينقسم هذا الأخير بدوره إلى فروع متأثرة بعلوم مختلفة مثل اللسانيات التاريخية واللسانيات الوصفية، اللسانيات الحاسوبية.... إلخ.

ولقد إقتصرنا في بحثنا هذا على دراسة اللسانيات وعلاقتها بالجغرافيا وإسم بحثنا هو "ملاح الدرس اللساني الجغرافي في كتابيّ الخصائص والمحتسب "لابن جنّي" (نماذج مختارة) ولقد تم إختيارنا لهذا البحث لمجموعة من الأسباب المتمثلة في:

أ) أنه موضوع يخص مجال دراستنا الجامعية المتمثل في اختصاصنا "اللسانيات التطبيقية.
ب) أنه موضوع يهّم اللغة بالدرجة الأولى القابلة للدراسة والتحليل في أي زمان ومكان ويهّم الجغرافيا بالدرجة الثانية التي تهتم بالمناطق والبيئات الجغرافية ويوجد علاقة كبيرة بين اللغة وبيئات انتشارها "فكل بيئة هي لغة خاصة في ذاتها".

ج) أنه موضوع جديد لم يدرس بعد.

ولقد ركزنا في بحثنا هذا على علاقة اللسانيات بعلم الجغرافيا وهذا واضح في الجانب التطبيقي من خلال الأمثلة المختلفة والشرح وإخترنا كتابيّ الخصائص والمحتسب "لابن جنّي" كمدونة للدراسة في الجانب التطبيقي".

وتكمن أهمية هاذين الكتابين الضخمين في اعتبارهما المرجع الأول في تعريف اللغة البشرية وأدق وأشمل وأفصح تعريف لها في قول "ابن جنّي" صاحب كتاب الخصائص الضخم "حدّ اللغة أصوات يعبر به كل قوم عن أغراضهم" فقد ربط "ابن جنّي" اللغة بالأصوات كأصغر وحدة صوتية وبين الأغراض والغايات التي يعبر عنها الفرد عن طريق الصوت فاللغة هي أداة تواصل قبل كل شيء، ومن أجل تحقيق عملية التواصل لابد من وجود أطالس لغوية خاصة بتوزيع اللغات البشرية

مقدمة

وهذا ما تدرسه اللسانيات الجغرافية، وهنا تكمن الأهمية الكبرى لموضوع بحثنا ولقد إعتدنا في بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي الوصف بارز خاصة في الجانب النظري من خلال وصف المادة اللغوية (الفصل الأول) وآلية التحليل تم إعتادها خاصة في الجانب التطبيقي (الفصل الثاني)، وذلك من خلال تقديم الأمثلة وشرحها ولقد إعتدنا في شرح هذه الأمثلة على توظيف المكتسبات السابقة في مسيرتنا الجامعية ومن أجل الوصول إلى النتائج التي تخدم الإشكالية التالية: ما هي العلاقة التي تربط اللسانيات بعلم الجغرافيا؟ وما هي ملامح الدرس اللساني الجغرافي؟ وكيف يتم رصدها وإستخراجها من كتابي الخصائص والمحتسب لابن جني؟ وفيما تكمن أهمية هاذين الكتابين؟ ثم إعتادنا على الخطة المهيكلية على الشكل التالي:

مقدمة: تمهيد للموضوع.

الفصل الاول: تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني.

المبحث الأول: اللسانيات الجغرافية وعلاقتها بالمجالات اللسانية.

1. تعريف اللسانيات الجغرافية:

2. اهتماماتها:

أ. المجال اللهجي.

ب. الأطالس اللغوية.

ج. علاقاتها بالمجالات اللسانية:

المبحث الثاني: اللسانيات الجغرافية في الدرس اللساني الحديث.

1. إرهاباتها في الدرس اللغوي العربي الحديث.

أ. عند عبد الجليل مرتاض.

ب. عند إبراهيم أنيس.

ج. عند مازن الوعر

مقدمة

2. إرهاباتها في الدرس اللساني الغربي الحديث:

أ. عند دي سوسير.

ب. عند ماريوباي.

الفصل الثاني: ملامح اللسانيات الجغرافية في كتابي الخصائص والمحتسب لابن جني (نماذج مختارة).

المبحث الأول: اللهجات والبيئات الجغرافية في كتاب الخصائص والمحتسب لابن جني.

1. ملامح اللسانيات الجغرافية في الدرس اللغوي العربي القديم.

2. شروط أخذ اللغة عند ابن جني.

3. تركيب اللهجات عند ابن جني.

المبحث الثاني: الظواهر اللغوية الجغرافية في الخصائص والمحتسب لابن جني (نماذج مختارة)

1. الظواهر الصوتية (الإبدال، القلب، الحذف، الوهم، الوكم، التلثة، التّفخيم، الإمالة).

2. الظواهر الصرفية.

أ. الاشتقاق

ب. النّسب

3. الظواهر النحويّة.

أ. المفعول المطلق.

ب. التوهم

ج. التقديم والتأخير

4. الظواهر الدلالية

أ. الترادف.

ب. التّضاد

مقدمة

ج. المشترك اللفظي.

خاتمة: (موجز النتائج المتوصل إليها من خلال دراستنا لهذا البحث).

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

ولقد واجهنا في هذا البحث مشكلتين أساسيتين هما:

1. عدم توفر كتابي الخصائص والمحتسب لابن جنّي في مكتبة الجامعة.
2. عدم توفر خدمة الأنترنت في المكتبة بشكل مباشر (أي بدون رقم سرّي).

الفصل الأول:

تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

المبحث الأول: اللسانيات الجغرافية وعلاقتها بالمجالات اللسانية.

1. تعريف اللسانيات الجغرافية:

2. إهتماماتها:

أ. المجال اللهجي.

ب. الأطالس اللغوية.

ج. علاقاتها بالمجالات اللسانية:

المبحث الثاني: اللسانيات الجغرافية في الدرس اللساني الحديث.

1. إرهاباتها في الدرس اللغوي العربي الحديث.

أ. عند عبد الجليل مرتاض.

ب. عند إبراهيم أنيس.

ج. عند مازن الوعر.

2. إرهاباتها في الدرس اللساني الغربي الحديث:

أ. عند دي سوسير.

ب. عند ماريوباي

الفصل الأول: تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني:

المبحث الأول: اللسانيات الجغرافية وعلاقتها بالمجالات اللسانية.

1. تعريف اللسانيات الجغرافية:

(أ) تعريف اللسانيات:

تمهيد: اللسانيات عالم يمتلك كل الخصوصيات المعرفية التي تميزه عما سواه من العلوم الإنسانية الأخرى من حيث الأسس الفلسفية، والمنهج، والمفاهيم، والاصطلاحات، وموضوع اللسانيات هو اللسان، ومن البديهي في التصور للفكر الإنساني أن يحدد العلم موضوعه تحديدا دقيقا في إطاره التاريخي والمعرفي قبل أن يحدد نفسه، وما كان ذلك إلا لأن موضوع العلم سابق للعلم بشأنه في الوجود، إذا لا وجود الظاهرة لما كان العلم بها، ومن هنا يتقدم إلزاما تعريف العلم لموضوعه على تعريف نفسه¹، ولذلك يجدر بنا أن نعرف اللسان قبل تعريف اللسانيات".

❖ تعريف اللسان:

✓ لغة:

(أ) يقول ابن فارس (395هـ) في مادة (لسن): "اللام والسين والنون أصل صحيح واحد يدل

على طول لطيف غير بائن في العضو أو غيره، من ذلك اللسان وهو معروف، والجمع ألسن

فإذا كثر فهي ألسنة، ويقال لسنته إذا أخذته بلسانك، قال طرفة:

وَإِذَا تَلَسَّنُنِي أَلْسُنُهَا إِنِّي لَسْتُ بِمَوْهُونَ غَمَرِ.

وقد يُعَبَّرُ بِاللِّسَانِ عَنِ الرِّسَالَةِ فَيُؤْنَتُ حِينَئِذٍ يَقُولُ الْأَعَشَى:

إِنِّي أَتَتَّنِي لِسَانٌ لَا أُسَرُّ بِهَا مِنْ غُلُوِّ عَجَبٍ فِيهَا وَلَا سَحَرِ.

¹ اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، د ط، 1986م، ص23.

واللسن جودة اللسان والفصاحة واللسن اللغة يقال لكل قوم لسن أي لغة وقرأ بعضهم قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ} إبراهيم 4، ويقولون الملسون الكذاب وهو مشتق من اللسان لأنه إذا عرف بذلك لسن أي تكلمت فيه الألسنة¹.

(ب) يقول الراغب الاصفهاني: (565هـ) في مادة (لسن): اللسان الجارحة وقوتها وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: {وَاخْلُ عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي} طه 27، يعني به قوة لسانه فإنه العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوته التي هي النطق به، ويقال لكل قوم لسان، وقوله تعالى: {وَاخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللَّوَانِكُمْ} الروم 22، فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات، وإلى اختلاف النغمات فإن لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها بالسمع، كما أن له همزة مخصوصة يميزها البصر².

ما لاحظناه في التعريف اللغوي للسان عند كل من ابن فارس والراغب الاصفهاني كان بحثهما في اللسان في مادة "لسن" ونرى أن كل واحد وظف تعبيره الخاص به لكنها كلها تعريفات تصب في اللسان.

✓ اصطلاحاً:

"إذا نظرنا نظرة عجل على التراث الفكري العربي نجد أغلب الدارسين يستعملون مصطلح اللسان ويعنون به النظام التواصلية المشترك بين أفراد المجتمع في البيئة اللغوية المتجانسة، وهم إذا استعملوا أحياناً مصطلح (اللغة) فيعنون به لهجة معينة، أو حالة نطقية مخصوصة، للسان

¹ معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (لسن)، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، د ط، 1399هـ / 1979م، ص 10.

² مفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (لسن)، تحقيق محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، دس، ص 580.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

في الفكر العربي موضوع الدّرس اللغوي، ونجد ذلك واضحا عند أسلافنا على اختلاف مذاهبهم العلمية نذكر منهم.

(أ) **الفراي (339هـ):** إذ يقول في هذا الشأن: (علم اللسان) ضربان أحدهما حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلى ما يدل عليه شيء منهما، والثاني قوانين تلك الألفاظ (....) وعلم اللسان عند كل أمة ينقسم سبعة أجزاء عظمى: علم ألفاظ المفردة، وعلم الدلالة، وألفاظ المركبة، وعلم قوانين ألفاظ عندما تكون مفردة وقوانين تصحيح الأشعار.¹

"ويلاحظ من خلال هذا الطرح أن الفراي كان على وعي عميق في إدراكه لطبيعة اللسان باعتباره الموضوع الوحيد في دراسة تسعى إلى استكشاف القوانين الضمنية التي تتحكم في بنية الظاهرة اللغوية".

(ب) **يعرفه كذلك ابن خلدون (808هـ):** "نجد مصطلح اللسان بوصفه موضوعا للدراسة العالمية شائعا ومألّوفا عند ابن خلدون، إذ أنه أفرد فصلا في مقدمته عنونها ب "في علوم اللسان العربي" ثم أدرج تحت هذا العنوان علم النحو، علم اللغة، علم البيان، علم الأدب"²

"اللسان هو أداة تعبيرية وهو مجموعة أصوات يخرجها الإنسان للاتصال بغيره وللتعبير عن مختلف حاجياته".

"أما علم اللسان فهو الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري من خلال أسنتها الخاصة لكل قوم.

وقد تمّ تقسيمه من قبل العلماء إلى قسمين علم اللسان العام وهو يشمل اللسانية المختلفة كعلم اللسان العربي، واللسان الفرنسي، واللسان الإنجليزي، وعلم اللسان الخاص، فهو يتناول لغة

¹ إحصاء العلوم، الفراي، تحقيق عثمان أمين، د ط، القاهرة 1931، ص15.

² المقدمة، ابن خلدون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، د ط، 1984، ص711/2.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

ما بين سائر اللغات من كل جوانبها وهذا الأخير بدوره ينقسم على قسمين علم نظري وأصحاب هذا العلم في الغالب عدد قليل لأنهم العلماء المتخصصون في علم اللسان.

"وعلم عملي: ويُسمى بالملكة اللغوية أو اللسانية وكما قلنا يشترك فيه جوامع الناطقين بلغة من اللغات"¹.

❖ مصطلح اللسانيات:

أول مرة ظهر فيها هذا المصطلح كان في ألمانيا، ثم استعمل بعد ذلك في الدراسات اللغوية الفرنسية سنة 1928م لينتقل بعد ذلك إلى إنجلترا.²

"واللسانيات هي كما ذكرنا الدراسة العلمية التي تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيدا عن النزعة التعليمية والاحكام المعيارية، فاللسانيات علم وصفي لا شأن له بإطلاق الأحكام الجمالية والأخلاقية، وهي لا تعترف بمبدأ الصواب، والخطأ، بل ترى أن إطلاق هذه الأحكام إنما يعود للمجتمع ومستعملي اللغة."³

ولكنها تقوم على الدراسة العلمية والموضوعية للسان البشري، من خلال السنة خاصة بكل مجتمع، فهي دراسة للسان البشري تتميز بالعلمية والموضوعية.

ب) تعريف الجغرافيا: هو العلم الذي يهتم بالظاهرة الموجودة على سطوح اليابس والماء وفي الهواء والتي يمكن رؤيتها بالعين أو يمكن قياسها بأحد أجهزة القياس ويوزعها ويدرس خصائصها على أساس العلاقات المكانية القائمة بين بعضها البعض في كل مكان توجد فيه.

¹ مفاهيم في علم اللسان، دكتور التواتي بن التواتي، دار الوعي للنشر والتوزيع، وهران-الجزائر، د ط، 2008م، ص24.

² ينظر المباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1999، ص14.

³ المرجع نفسه، ص15.

ويعود أصل الكلمة إلى اللغة الإغريقية وترجمتها بالعربية هو "وصف الأرض".

فلفظ الجغرافيا Geography لفظ إغريقي هو في الأصل Geographica، مؤلف من شقين أولهما: Geo ويعني الأرض وثانيهما Graphica ويعني الوصف أو الصورة.

ثم بعد ذلك تطور ليكون دراسة العلاقة بين الأرض والإنسان ثم بعد ذلك دراسة العلاقة بين الأرض والإنسان ثم بعد ذلك شخصية المكان بما فيه حجم الأبعاد الطبيعية والأبعاد البشرية والعلاقة المتبادلة بينهما.

❖ علاقة الجغرافيا بالعلوم الأخرى:

تمتاز الجغرافيا على غيرها في قدرتها على التأقلم مع مختلف العلوم فهي تمثل همزة وصل متينة بين هذه العلوم وهي تسخرها جميعا لخدمتها وتأخذ منها ما يخدمها ويميزها عن غيرها وقد شهدت السنوات الأخيرة تحولات كبيرة في المنهج الجغرافي والمحتوى العلمي وكذلك في الأساليب التي تعتمد عليها في تحقيق الأهداف والأغراض، ولعل من أسباب هذه التحولات أيضا ما طرأ على المحتوى البشري من تطور كبير حيث أصبح الجغرافيون يعالجون مواضيع لم تكن بالأمس معروفة حتى وكأن المتتبع للأعمال الجغرافيين يلمس ذلك الاهتمام المتزايد بالتركيز على دراسة الظاهر والمواضيع الطبيعية والبشرية المختلفة بطريقة تختلف عما كانت عليه في الماضي بفضل استخدامهم للوسائل الكمية المتقدمة في أبحاثهم استعانة بالإحصاء والحاسب الآلي والرياضيات والنماذج والهندسة والطبيعة والكيمياء، وكان لذلك التطور في استخدام مثل هذه الوسائل نتائج هامة أسفرت عن دفع عجلة الجغرافيا وجعلها علما يتماشى وعصر التكنولوجيا، حتى أطلق البعض على هذا التحول في استخدام الوسائل والمناهج مصطلح (الثورة الكمية في الجغرافيا) وهذه الثورة لقيت ترحيبا كبيرا من الجغرافيين لأن للمنهج الكمي مزايا كثيرة ولعل أبرزها وأهمها أن النتائج التي يمكن التوصل إليها تكون أكثر دقة بفضل التحليل العلمي لتسلسل الأحداث

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

وهذا التحليل العلمي الجغرافي يبرز النظم التي أثرت في وجود الظواهر المختلفة التي يتعرض لها الجغرافي بالدراسة فهو لا يكتفي بالوصف بقدر ما يعتمد على الأسباب التي أنشأت هذه الظواهر.

❖ دور العلماء العرب في تطور علم الجغرافيا:

لقد بذل العلماء العرب جهودا كبيرة في تطور علم الجغرافيا، إذ قام العرب باكتشاف مناطق جديدة من العالم لم تكن معروفة من قبل، ومن أمثال هؤلاء العلماء: "اليقوت الحموي في كتابه معجم البلدان" و"ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان" و"المسعودي في كتابه مروج الذهب"، وابن حوقل في كتابه صورة الأرض"، و"الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، وقد صنع الإدريسي كرة أرضية من الفضة، و"ابن خلدون في كتابه مقدمة ابن خلدون".

(ج) اللسانيات الجغرافية (اللسانيات والجغرافيا):

اللسانيات الجغرافية جزء من علم اللهجات، وهي دراسة التنوع في استعمال اللغة عند الأشخاص أو المجموعات من أصول جغرافية مختلفة¹.

ونستطيع أن نطلق اسم "اللسانيات الجغرافية" على ذلك التميز الذي يظهر في اللهجات ذات العلاقة مع محليتها الاجتماعية والمكانية في الوقت نفسه، كما يذهب بعضهم إلى تسمية اللسانيات الجغرافية بعلم اللهجات، وقد شاعت هذه التسمية في الدراسات الغربية، حتى ان كثيرين من الغربيين يعدون هذا الفرع من اللسانيات خاصا بدراسة اللهجات، والصحيح كما يذهب إلى

¹ المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات إنجليزي-فرنسي-عربي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب الدار البيضاء، د ط، 2002، ص62.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

ذلك "الدكتور سمير شريف استيتية" أن اللسانيات الجغرافية أوسع من علم اللهجات بكثير بل إن هذا العلم هو أحد فروع اللسانيات الجغرافية¹.

2 . اهتماماتها:

تمهيد:

يهتم علم اللسانيات الجغرافية في المقام الأول بدراسة التوزيع الجغرافي للغات الإنسانية على أجزاء الكرة الأرضية، وتتيح ذلك من خلال الأطالس اللغوية التي تحتوي على معلومات مختلفة لتحديد عدد المتكلمين مع بيان نوعية اللغة بالنسبة لهم، أهى لغتهم أم لغة استعمارية تحولت إلى لغة رسمية، أم هى لغة ثقافية أو لغة دينية، تحديد اللهجات المختلفة التي ترتبط بكل لغة وتوزيعاتها.²

✓ تهتم بالمجال اللهجي.

✓ تهتم بالأطالس اللغوية

أ. المجال اللهجي:

➤ تعريف اللهجة:

✓ لغة:

¹ اللسانيات، المجال، الوظيفة، والمنهج، أ.د، سمير شريف، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، عمان الأردن، ط2، 2008م، ص617.

² معجم اللسانيات الحديثة إنجليزي-عربي، د. سامي عياد وآخرون، مكتبة لبنان، د.ط، 1997، ص54.

هي مشتقة من (ل، هـ، ج)، لهج الفصيل يلهج أمّه: إذ تناول الناقة يمتصه، ولهج الفصيل بأمّه: إذ اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج، كما قيل: لهج بالأمر لهجا، وَلَهَجَ وَلَهَجَ: أُلِعَ به واعتاده أو أغري به فتأبر عليه، واللهج بالشئ: الولوع به.¹

✓ اصطلاحاً:

عرفها إبراهيم أنيس في مؤلفه "في اللهجات العربية" مجموعة من الصفات اللغوية تنتسب إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدّة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية.....²

➤ مجال اللهجات:

من المعروف أن العرب كانوا أمة متفرقة إلى قبائل، وأن هذه القبائل قد انتشرت في أنحاء الجزيرة العربية، وكان لكل قبيلة استقلالها وكيانها الخاص، فأدى ذلك إلى انعزالها وكان من أسباب نشأة اللهجات العربية القديمة، ومن المؤسف بالنسبة إلى تاريخ العربية قبل العصر الجاهلي أن يد الإهمال والنسيان قد امتدت عناصرها، وبخاصة ما يتصل باللهجات العربية فلم العربية بعلماء بررة أخلصوا لها. وقدموا خدمات جليلة من أجل جمعها من مصادرها الموثوقة والوقوف على أسرارها، ومحاولة ضبطها وتقعيدها وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً مضيئة ومُتواصلة تستحق منا كل إجلال.

وقد أخذوا مادتهم اللغوية عن طريقين:

¹ كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هندائي، مادة (لغى)، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، 2003م، ص92.

² في اللهجات العربية، دار إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط8، 1992، ص16.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

أولهما: الرحلة إلى البادية والاستماع إلى أصلها الذين سلمت ألسنتهم من اللحن لعدم اختلاطهم بالأعاجم وغيرهم من أبناء الأمم الأخرى.

وثانيهما: الأعراب الذين عدوهم فصحاء

انصببت جهود هؤلاء العلماء على اللغة المشتركة (الفصحى)، واستتكفوا أن يهتموا بأمر اللهجات عن خطورته¹ فأهمل أمرها، ولم يرد عنها إلا القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ، بل إن ما رُوي عنها جاءنا مبتورا ناقصا في معظم الأحيان، لا يعدو أن يكون مجرد إشارات متفرقة هنا وهناك لا يمكن أن تصنع تاريخا أو تكون فكرة كاملة.

تصل إلينا نصوص نرجع إليها في تجليات معالم هذا التاريخ.

وفي العصر الجاهلي تمسكت كل قبيلة بصفاتها الكلامية في حديثها العادي، وفي لهجات التخاطب، لكن الخاصة من الناس في تلك القبائل لجأوا إلى اللغة المشتركة في المواقف الجديدة، يخطبون بها وينظمون الشعر بها وينفرون من صفات اللهجات في مثل هذا المجال، حتى إذا عادوا إلى قبائلهم تحدثوا مع الناس في شؤونهم العامة بمثل لهجتهم، وهذا يعني أن اللغة عندهم مستويان، مستوى اللهجات، وتتخذ أداة للتقاهم بين أفراد القبيلة في أمور حياتهم العامة، ومستوى اللغة المشتركة وتستعمل في المواقف الجادة، ومنها حديث العربي حيث يجد نفسه أمام خليط من القبائل المختلفة في محفل للتقاضي أو سوق التجارة، وحين ينظم الشعر، أو يرسل الحكم والأمثال، وكان إتقان تلك اللغة موضع فخر بين رؤساء القبائل والخاصة من الناس.

¹ العربية، يوهان فك، ترجمة دار رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، د ط، 1980م، ص9.

وهم في تناولهم للهجات لم يراعوا الدقة في نقلها، فم ينسبوا غالبا كل لهجة إلى قبيلتها أو بيئتها، بل كانوا يعزرون اللهجة أحيانا، ويكتفون بقولهم، إنها لغة لبعض العرب أحيانا أخرى¹.

ويلاحظ أن القدماء في نقلهم عن القبائل أخذوا يفرقون بين قبيلة وأخرى فينسبون الفصاحة إلى هذه وينكرونها على تلك، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك فميزوا بين القبائل الفصيحة في درجات الفصاحة ورفضوا النقل عن القبائل المتطرفة التي كانت مساكنها حدود الجزيرة العربية لمجاورتها لسائر الأمم الذين حولهم وقد عبر "أبو نصر الفراء" عن هذا المنهج بقوله:

"كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا، وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه.

وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل ، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجمله لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا من لحم، ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاة وغسان وأياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة

¹ الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، حسام النعمي، بغداد، دار الرشيد، د.ط، 1980،

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

الحجار، لأن الذين تعلموا اللغة صادفهم حيث ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفست ألسنتهم"

وآثر الرواة وعلماء اللغة الأخذ عن القبائل التي تسكن في وسط الجزيرة ونسبوا إليها الفصاحة وإجادة القول لاعتقادهم بأن اللحن لم يتسرب إلى لغاتها، وأشهر تلك القبائل التي نقل عنها جل ما وصلنا من العربية الفصحى هي قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين وقد قام منهم على اعتبار أن الفصحى هي لهجات هذه القبائل على تعددها وطول الزمن بها.

ويلاحظ مما سبق أن العلماء قد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين.

- **الأولى:** قرب مساكنها من مكة وما حولها، وبعدها عن أطراف الجزيرة العربية ومخالطة الأمم الأخرى.

- **والثانية:** مقدار توغلها في البداوة، ولذلك رأيناهم يعتزون بلغة القبائل الحجازية بوجه عام وقبائل نجد ووسط الجزيرة، والقبائل البدوية المتوغلّة في البداوة، ونستطيع أن نلمس ذلك بوضوح في كتاب سيبويه، فقد ذكرت فيه القبائل التالية: الحجاز، تميم، أسد، فزارة، طيء، بكر بن ربيعة، قيس، هذيل، بنو العنبر، لكن معظم لهجاته تكاد تكون محصورة في هاتين الوحدتين الكبيرتين: الحجاز و تميم.

وأدّى هذا المنهج إلى تقسيم القبائل العربية إلى فصيحة وأخرى غير فصيحة، إلى أن حاول عدد من علماء اللغة عقد موازنة عقلية بين اللهجات العربية فوجدناهم يُقرّرون أن هذه اللغة أقيس من تلك للغة الفلانية، ورأينا في كتبهم جملة من الأوصاف للهجات العربية كقولهم: لغة قليلة ولغة رديئة ولغة جيدة، ولغة شاذة، ولغة قبيحة، وهي اللغة الفصيحة...إلى غير ذلك والمعروف أن اللهجة فصيحة إذا أدت إلى التفاهم والاتصال بين أبنائها لكنهم أطلقوا تلك الأوصاف السابقة بالنظر إلى بعد اللهجة أو قربها من القرآن الكريم ولغة قريش وقد عبّر المبرد عن هذا المعنى

بقوله¹: "وكلّ عربيّ لم تتغير لغته فصيح على مذهب قومه وإثما يقال بنو فلان أفصح من بني فلان أي أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش، على أنّ القرآن يُرثَل بكل لغات العرب".

ولم يكد ينقضي القرن الرابع الهجري حتى وسّع الرواة وعلماء اللّغة دائرة النقل، وظهر من بينهم من لم يُفرّق بين قبيلة وأخرى في جواز الأخذ عنهم والاحتجاج بأقوالهم، ويأتي في مقدّمة هؤلاء العلماء اللغويين المشهورين "ابن جنّي" حيث عقد في كتابه الخصائص بابا سماه: "اختلاف اللغات وكلها حجة" أشار فيه إلى بعض الصفات المشهورة عن لهجات القبائل، وأن بعض تلك الصفات أشهر من البعض الآخر وأكثر منها شيوعا في اللغة، ولكنها جميعا مما يحتج به.²

يتضح ممّا تقدّم أن اللغة العربية في عصر الاحتجاج (حتى منتصف القرن الثاني الهجري للقبائل الحضرية ومنتصف القرن الرابع الهجري للقبائل البدوية) قد أخذت من قبائل متباينة: بعضها يسكن المدن كمكة والمدينة، وبعضها الآخر يسكن البادية والمعلوم أن حياة المدينة بزراعتها وتجاريتها وحرفها وقد عرفت نوعا من الاستقرار ورقة العيش، فاختلقت في البادية المعروفة بصعوبة الحياة وشظف العيش، نظرا لكثرة التنقل والأسفار والانعزال واشتغال الناس بالرعي، واللغة تتأثر بالبيئة التي تعيش فيها كما تتأثر بالحياة الاجتماعية للأفراد. وفي كل بيئة لغوية ظروف تدفع إلى تطور الكلام وتغييره في كثير من الظواهر، وظروف أخرى تعمل على استقرار هذه الظواهر فلا يطرأ عليها أي تغيير، غير أن الغلبة دائما لعوامل التطور، فلا تبقى اللهجة في كل ظواهرها على حالة واحدة بعد مرور قرن أو قرنين وهذا يفسر لنا اختلاف نسبة التطور في

¹ الكامل، الفاضل محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة، دار الكتب، د ط، 1956م، ص113.

² الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب، د ط، ج2، 1952م، ص12.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

اللهجات المتباينة، ففي بعض اللهجات نراه شديداً يصيب كل نواحي اللهجة وظواهرها، وفي بعضها الآخر نرى التطور لا يعدو أمورا معينة في هذه اللهجة¹.

وهكذا فإن التطور الذي أصاب لغات القبائل المستقرة في المدن المتحضرة في مختلف المستويات اللغوية اختلف من غير شك عن التطور الذي أصاب لغات القبائل البدوية المتنقلة، فحياة الحضر تطلب العمل على تحسين النطق وتغيير العبارات والحرص على الوضوح واجتناب اللبس، أما حياة البادية فتتميل إلى السرعة في النطق وإيجاز في الكلام، مما كان له أثر واضح في اختلاف اللهجات العربية.

ب. الأطالس اللغوية:

➤ تعريف الأطالس اللغوي:

يُعرف على أنه: "أطلس يحتوي على خرائط تبين كل منها المنطقة الجغرافية التي تسود فيها سمة لغوية معينة من حيث النحو أو الصرف أو المفردات أو اللفظ، كما يبين توزيع اللهجات جغرافياً"²، وللتفصيل أكثر فإن الأطلس يتكون من مجموعة من الخرائط، قد تصل عدّة آلاف، حيث توضح كل منها ظاهرة أو أكثر من اللهجة أو اللغة، ويستعان في توضيح هذه الظواهر بمجموعة من الرموز الهندسية كالمثلث والمربع والمستطيل والدائرة وما إلى ذلك.³

وتذكر المراجع أن الأطالس نوعان هما:

¹ في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، ص 86، 87.

² ينظر معجم المصطلحات الألسنية، (فرنسي، إنجليزي، عربي) مبارك المبارك، دار الفكر اللساني، ط1، 1995، ص 30

³ ينظر في اللهجات العربية، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1943م، ص 100.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

- ✓ تحليلية: وفيها تتناول الخريطة عنصرا واحدا، كنطق القاف، أو الجيم مثلا في البلاد العربية، أو الكلمات التي يدلون بها على الرجل أو البيت، أو العبارة التي تؤدى بها التحية، أو تقال في استقبال أو وداع ونحو ذلك.
- ✓ تركيبية: وفيها توضح الخريطة عنصريين أو أكثر، كصيغ الفعل الماضي أو أنواع الجمع، أو الضمائر، أو أنواع الجمل، أو نطق حروف الشفة مثلا.

➤ بداية ظهور الأطلس اللغوي:

لا شك في أن الأطلس اللغوي كانت له بذوره في دراسات علمائنا القدماء ويظهر ذلك جليا في أثناء جمعهم للنصوص اللغوية التي استخلصوا منها قواعد اللغة العامة، وفيها جمعوا من نصوص تتعلق ببعض اللهجات السائدة في بعض مناطق الجزيرة، إلا أن في العصر الحديث ظهرت مستجدات وتطورات علمية كالأجهزة والآلات وطرق القياس المستحدثة التي يسّرت طرق الدراسة في اللهجات، وتحديد خصائص وكذا الأماكن التي توجد فيها¹ وقد بدأت فكرة عمل الأطلس اللغوي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، وكان زائدا هذا النوع من الدراسة، التي اعترف علماء اللغات بما لها من وقع في حل المشكلات اللغوية هما: فنكر "Wenker" الألماني و"جليرون" "Gillieron" الفرنسي، حيث قام كل واحد منهما بعمل أطلس لبلاده، فقد ظهر الأطلس اللغوي لفرنسا بين عامي 1902-1910م، أما الأطلس الألماني فقد نشر جزء منه وهي الدفعة الأولى، وكانت مكونة من ست خرائط في عام 1881م، وبعدها انتقلت فكرة عمل الأطلس اللغوية إلى بعض البلاد الأخرى، كإيطاليا وسويسرا والسويد والنرويج،

¹ ينظر اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1934، ص400.

والبرتغال، وانجلترا، أي أنها شملت معظم بلاد أوروبا، بل تعدّتها إلى أمريكا، وبعض البلدان الشرقية.¹

ومما يستحق الذكر أن العالم اللغوي السويسري "ستيجر" Steiger قد أبان عن قيمة الأطلس اللغوي وأهميته للغة العربية، بقوله: "وبالنسبة للغة العربية نقول: إن القيام بعمل أطلسي لغوي لها سيحدث ثروة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية، لأنه سيكمل من غير شك الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة، بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ الأصوات، والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزتها وعن مدى انتشارها وتأثيرها بالمراكز الثقافية.... إنه سيكون عملاً ثقافياً من الطراز الأول، وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخر في تاريخ الثقافة العالمية"² فهذا إن دل إنما يدل كل الاهتمام الكبير باللهجات العربية من طرف الباحثين العرب والغربيين.

➤ طرق إعداد الأطالس:

اشتهر في طرق إعداد الأطالس طريقتان هما: ألمانية وفرنسية.

1. الطريقة الألمانية:

وهي طريقة ابتكرها وقام بتنفيذها "فنكر" « Wenker » تتلخص طريقته في أنه قام بتأليف أربعين جملة تمثل أهم ما يجري على ألسنة الناس في حياتهم اليومية بألمانيا وطبع على شكل استمارة تحتوي بيانات عن الراوي والمسجل اللغويين، والجهة التي سجلت فيها اللهجة ثم تأتي

¹ المرجع السابق: ينظر المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1997، ص149.

² المرجع نفسه، 150، ص151.

الجميل الأربعون، حيث أرسلت هذه الاستثمارات إلى جهات مختلفة في ألمانيا، والتي بلغ عددها حوالي خمسين ألف جهة¹. وهكذا يقوم المسجل اللغوي باستطلاع رأي الراوي اللغوي الممثل لنطق اللغة المحلية أو اللهجة التي يراد دراستها، فيسجل الكلمة أو العبارة أو الجملة التي ينطقها الرجل العادي في الشائع من الاستعمال اللغوي في الحياة العادية للمجتمع مما يقابل النطق النموذجي للغة العامة².

ثم تبدأ عملية إعداد الأطلس وهذا بعد أن تجمع الإجابات في المركز الرئيسي لعمل الأطلس، حيث يبدأ بعمل خريطة لكل كلمة على حده، وذلك بأن تُفَرَّع أولاً: صور الألفاظ وصيغته ومترادفاته، على خرائط تفصيلية تكون مستعملة على الأقاليم جميعها، ثم تُحدّد عليها المناطق اللغوية المختلفة، ثم تُرسم خريطة عامة انطلاقاً من الخرائط التفصيلية تُبين الحدود النهائية للمناطق اللغوية واللهجية إجمالاً³:

2. الطريقة الفرنسية:

لقد سادت هذه الطريقة فترة طويلة في عمل الأطالس اللغوية، حيث تقوم على أساس عمل خريطة الإقليم الذي يُراد وضع أطلس لغوي له، وتختار منه مناطق مختلفة، يُلاحظ فيها أنها تُمثل إلى حد كبير البيئة التي تُوجد فيها المنطقة، وبعد هذا يُؤلف كتاب خاص يحتوي على ما بين ألفين أو ألفين وخمس مائة سؤال يُسمى بكتاب الأسئلة اللغوية الذي يجعل له عدّة نسخ تُوزع على المسجلين اللغويين، ولابد أن يكونوا مدربين تدريباً كاملاً من الناحية الصوتية⁴.

¹ ينظر المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص153.

² اللهجات العربية، نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، ص402.

³ ينظر مدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص154

⁴ المرجع نفسه، ص154.

وبعدها يذهب المسجل إلى القرية أو المدينة أخذا بعين الاعتبار التعبير الدقيق والنطق الصحيح لكل ما يُراد معرفته والإجابة في الكتاب المذكور مُدَوِّنا الإجابات في الصفحات المقابلة للأسئلة، وإذ تمَّ ارتياد المدن والبلدان المعينة على الخريطة التي وُضعت أساسا للعمل، جُمعت صيغ اللفظ ومرادفاته في البلاد المختلفة وأخذ في دراستها وترتيبها من أجل وضعها في صورتها النهائية على الخريطة، ويكون ذلك بكتابة اللفظ في مكان القرية أو البلدة التي يجري اللفظ فيها على السنة أهلها.¹

3. الفرق بين الطريقتين:

- الطريقة الألمانية تمتاز بالشمول، لأنها لا تترك جهة إلا ذكرت رواية اللفظ فيها.
- الطريقة الفرنسية أدقّ من الألمانية، لأن المسجلين اللغويين قد درّبوا التدريب المكاني في مسائل اللغويات والأصوات وبذلك يعدّون ثقة، فيما يُدَوِّنون عن الرواة اللغويين.
- الطريقة الفرنسية طريقة مباشرة في الأسئلة.²

ويذكر "ماريوباي" (أن هناك واحد من أهم العيوب التي تُقلّل من قيمة الأطلس اللغوي، وهو أنه لا يثبت على مر الزمن ما دامت اللهجات المحلية تتغير ربما بدرجة أسرع من اللغة الوطنية، ولهذا فإنّه في بعض الأحيان يعاد إجراء عملية المسح اللغوي بعد مرور سنوات عدّة، ويصبح من الممكن حينئذ عمل مقارنة بين نتائج الأطلسين وتكوين صورة شبه تاريخية عن التغيرات المتشابكة في كلام مجتمع معين³).

¹ ينظر مدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص154، 155، 156.

² المرجع نفسه ص157.

³ أسس علم اللغة، ماريوباي، ص60.

ومهما يكن فالأطلس اللغوي يبقى مرجعا أساسيا للعالم اللغوي، فالأطلس اللغوي لا يبقى ثابتا وإنما قابل للتغيير بسبب التطورات السريعة التي تحدث للغة.

❖ علاقتها بالمجالات اللسانية:

مُنذ إستواء اللسانيات علما يستهدف اللغة موضوع درسه، وانفتاحه على جملة من العلوم يتأثر بها حيناً ويؤثر فيها تارة، تطفو على سطح الساحة العلمية الإنسانية بين الحين والآخر قضايا ومسائل تبدو في أول أمرها حالات، ثم لا تلبث أن تتحول إلى ظواهر تطرح إشكالات وتساؤلات ثم تستوي علوما قائمة، تستقل بمواضيعها وتؤسس لمفاهيمها، وكذلك كان شأن كل العلوم اللسانية التي انفتحت على قضايا العلوم المجاورة واهتماماتها. فاللسانيات الاجتماعية مجال علمي تلامست فيه قضايا اللغة مع قضايا الاجتماع الإنساني واللسانيات النفسية مجال علمي تلاقت فيه مسائل اللغة مع مباحث علم النفس، واللسانيات العصبية ساحة علمية حديثة جسدت نقاط التلاقي بين اللغة وفتوح العلم في بحوث النشاط الذهني، والوظائف العصبية للدماغ واللسانيات الحاسوبية فضاء علمي جمع بين القضايا اللغوية وتطبيقاتها على مستوى أجهزة الذكاء الصناعي وتطويع برامج الحواسيب لمتشعبات اللغة، وهكذا يولد تلاقي العلوم اللغوية مع العديد من العلوم التجريبية والإنسانية فضاءا جديدا يلبي الحاجات المعرفية الإنسانية المتجددة، ويأتي مصطلح اللسانيات الجغرافية تسمية لمجال علمي اجتمع فيه علمان: اللسانيات والجغرافيا فأما من حيث مصطلح اللسانيات فهو عنوان لميدان دراسة علمية للغة تهتم بوصفها داخليا باعتبارها نسقا من المستويات الصوتية والصرفية..... إلخ وتستهدف الدراسة اللسانية بهذا المفهوم البنية الداخلية للغة دون التفاعلات للعوامل الخارجية المشاركة في إنتاجها. وأما مصطلح الجغرافيا فإن ما

تلبس به من الغموض وتأرجحه تاريخيا بين الرياضيات والفيزياء، ثم تشعب فروعه بعد إستوائه بين جغرافيا طبيعية وآخر اقتصادية وجغرافيا بشرية وغير ذلك¹.

وبقدر صعوبة فصل العلوم بعضها عن بعض فصلا كاملا يترأى ذلك التلامس الواضح بين العلوم في حالة دراستها منفردة تسمية وإجراء، حيث هناك العديد من المظاهر التي تعكس حاجة علم من العلوم إلى مقولات علم أو علوم أخرى، وأما إذا كان الحديث عن علم من العلوم المركبة في إصطلاحها ووضوحها فإن الأمر يلزم المُتَقَدِّم إلى هذا العلم الجديد تحصيل ما يحقق قيامه بضبط مصطلحاته، وحصر مواضيعه وقضاياها، وانتقاء مناهجه وإجراءاته، وهو التأسيس الذي يطال اللسانيات الجغرافية بوصفها حقلا جمع مجالين علميين لكل منهما فروع وتخصصات، ولكن الذي قام عليه هذا العلم هو الجمع بين مقولات اللسانيات العامة وما تعلق بها من النشاط الإنساني المتأثر بالمكان الجغرافي، وقد كانت استجابة علم الجغرافيا كافية لخدمة هذا التلاقي، فإضافة إلى ما سخره من المبادئ العامة للجغرافيا، فقد كان أقرب فروعه وأشدّها تلامسا مع هذا التوجه اللساني الجديد هو فرع الجغرافيا البشرية، وأهم ما رشح هذا الفرع للاضطلاع بهذا الدور هو ظاهرة اللغة التي تميز كل التجمعات الإنسانية دون إهمال الإستثناس الذي يتوصل به ملتقى العلمين (اللسانيات والجغرافيا)، فالأبعاد التاريخية والاقتصادية والسياسية لها تأثير على مسار بحوث اللسانيات الجغرافية منطلقا وتوجيها، حسب الحالات والظروف والسياقات وذلك ما يكتشف أثره وتعلم طبيعته من خلال بقية مفردات المقرر².

¹ مكتب تنسيق التعريب، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (إنجليزي، فرنسي، عربي)، المنظمة العربية للغة العربية والثقافة والعلوم، الدار البيضاء، د ط، 2002م، ص60.

² معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي، انجليزي، عربي) مبارك المبارك، دار الفكر اللبناني، ط1، 1995م، ص25.

المبحث الثاني: اللسانيات الجغرافية في الدرس اللغوي العربي الحديث:

1- الجهود العربية في اللسانيات الجغرافية عند الدكتور العربي عبد الجليل مرتاض:

تمهيد:

يُعتبر الدرس اللساني غنيا وثرى بمختلف فروعهِ ومن بين هذه الفروع اللسانيات الجغرافية التي حظيت بالاهتمام الواسع من طرف العلماء والباحثين العرب ومن أشهر العلماء عبد الجليل مرتاض الذي قدم الكثير للغة العربية وذاع صيته عبر أصقاع العالم العربي بأفكاره المتميزة في ميدان علوم اللسان، وذلك من خلال كتابه "اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي" الذي أَلَمَّ فيه كل ما قدّمه العرب في هذا المجال.

أ) السيرة الذاتية لعبد الجليل مرتاض:

يُعدّ الباحث عبد الجليل مرتاض واحدا من أعمدة البحث العلمي اللغوي في الجزائر وفي الوطن العربي، وأحد رموز المناصرة للغة العربية عمل على تنميتها وتطويرها بما أنجزه من بحوث وبما كونه من إشارات هم الآن منتشرون في العديد من المؤسسات الوطنية والدولية تحصل على عدّة دبلومات وتولى عدّة مناصب.

معلومات علمية عن الدبلومات:

- ✓ علوم اللسانيات في اللغة العربية وآدابها، وهران، جوان (1993م)
- ✓ دبلوم المنهجيات في اللغويات، جامعة الجزائر، جوان 1995م.... إلخ

المناصب والمسؤوليات:

- ✓ أستاذ التعليم الثانوي 1973_1978.

✓ أستاذ التعليم العالي من 2001 إلى الآن... إلخ¹

❖ جهود عبد الجليل مرتاض في اللسانيات الجغرافية من خلال كتابه "اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي":

من مظاهر إهتمام الدكتور "عبد الجليل مرتاض" باللسانيات الجغرافية تأليفه كتابا في هذا الموضوع بعنوان "اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي" ونجد أن هذا الكتاب يتألف من مقدمة وستة فصول ولا توجد فيه خاتمة عدد صفحاته مئة وواحد وتسعون صفحة من الحجم المتوسط طبع بدار هومة بالجزائر وهذا الكتاب هو ملخص لجهود عبد الجليل مرتاض في "اللسانيات الجغرافية" أودع فيه خلاصة الأفكار والتي كانت تدور في ذهنه منذ أمد بعيد.

أمّا سبب إخراج هذا الكتاب كما جاء على لسان صاحبه "أنّي أردت أن أوثق فصلا خاصا بالجهود العربية القديمة لبيان دورهم وحظهم من علم اللهجات العام أو اللسانيات الجغرافية"² وهذا الفصل أوحى له مجموعة من الأفكار التي تحولت فيما بعد إلى عدّة فصول.

وفي مقدمة الكتاب تحدث عن سبب إهتمامه واختياره لهذا الموضوع كما ذكر فيه باختصار كل ما تناوله وتطرق إليه في كل فصل.

الفصل الأول: عرض فيه المستويات الخلفية التي كانت مقدمة طبيعية وسببا في ظهور اللسانيات الجغرافية، وتحدث عن التباينات والفوارق اللغوية التي كانت بين أواسط من المتكلمين العرب، فبعض القبائل العربية كانت معروفة بفصاحتها والتي أوردتها المبرد في قوله "وحدثني من لا أحصي من أصحابها عن الأصمعي عن شعبة عن قتادة قال: قال

¹ ينظر، السيرة الذاتية "عبد الجليل مرتاض" مذكّرة تخرج.

² اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، عبد الجليل مرتاض، قسم الترجمة اللغوية، العصبة، دار الأيام للنشر والتوزيع، د ط، 15 يناير 2018، ص5.

معاوية يوما: من أفصح الناس؟ فقال رجل من السباط فقال: قوم تباعدوا عن فراتية العراق، وتيامنوا عن كشكة وتياسروا عن كسكة بكر ليس فيهم غممة وقضاة، ولا طمطمانيّة حمير، فقال له معاوية: من أولئك؟ قال أنا رجل من جرم، قال الأصمعي، وجرم من فصحاء الناس¹.

وتجد بعض القبائل الأخرى فيها بعض العيوب الصوتية في الكلام كالتمتمة وهي التردد في الثاء.

العقلة: هي إلتواء اللسان عند إرادة الكلام² وغيرها من العيوب الصوتية أو الأنماط من التكلّمات التي ذكرها والتي تعتبر الإرهاصات الخلفية أساس تاريخ علم اللهجات العربي، واللهجة قديما كانت مرادفة للغة وتدل على فصاحة اللسان كما يقول عبد الجليل مرتاض: "كانت اللهجة تدل على فصاحة اللسان ثم ما عَمَتْ حتى صارت تدل على كل تكلم لا يرقى إلى مستوى اللغة العامة"³، كما أصبحت اللهجة تُعرف اليوم وفق مستويات معينة ومتنوعة من التكلّمات فهي "تكلم جهوي متغير تختلف ميزاته الصوتية والفونولوجية، وكذا خصوصياته اللكسيكية ونادرا المورفومانناكسية عن اللغة المهيمنة"⁴.

حيث أنّ لكل لهجة فضاء خاص بها محصور بحدود أو بجزء وحرصته أرض شعب أو قبيلة، واللهجة في نظر عبد الجليل مرتاض ليست ظاهرة تعارضية مع اللغة بدليل أننا قد نجد أشتات من اللهجات داخل ما يعرف بالفصحى.

¹ الكامل، المبرد، تحقيق أبو الفضل وشحاتة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1997م، ص223.

² المرجع نفسه، ص222.

³ ينظر، اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، عبد الجليل مرتاض ص20.

⁴ المرجع نفسه، ص23.

أما الفصل الثاني: فعنونه ب: "العربية المشتركة" وفيه تعرّض لإثارة الإشكالية التقليدية حول العربية المشتركة، من خلال تطرقه للغة القرآنية وتقاطع القبائل العربية فيها، إلا أن القرآن الكريم لم ينزل بلهجة قريش فحسب بل نجد فيه لهجات أخرى ومن هذا ما رواه "سيبويه": " أن "بشرًا" في قوله تعالى: {مَا هَذَا بَشَرًا} يوسف 31، منصوب في لغة أهل الحجاز وبنو تميم يرفعونها¹ إذا كانت لكل قبيلة لهجة تميزها عن غيرها، وهذه اللهجات نجدها تختلف في بعض المظاهر الصوتية، وفي بنية ألفاظها وفي دلالة بعض كلماتها وقد نجد اختلاف اللهجات حتّى على مستوى منطقة جغرافية واحدة، هذا ما أورده المؤلف في قوله: "وقد تختلف لهجة على مستوى قبيلة واحدة من خلال ما تُجسّده بطون وفروع منحدرّة من القبيلة الأم"²، ثم بعدها أشار إلى بعض النظريات العربية القديمة، كنظرية "ابن فارس" ونظرية "الفارابي" وناقشها وحللها مدعماً إيّاها بالنّصين القرآني والشعري.

والفصل الثالث: عالج فيه مواقع العربية المشتركة من خلال ذكره لمناطق ومواقع مختلفة، وأكد في هذا الفصل على اسبقيته في قوله "إنّ أول علم منهجي ولساني عرفه العرب هو اللسانيات الجغرافية أولاً وعلم اللهجات ثانياً"³.

كما أشار كذلك إلى المواقع الجغرافية التي كانت تتميز بالفصاحة وإلى الفضاء الدلالي للكلمات القرآنية، فكان المفسرون يعتمدون في تفسير ما غمض عليهم في القرآن الكريم على العامل الجغرافي المحض لفهم ما لم يره في القرآن الكريم من لهجاتهم المعتادة، من ذلك ما يروى

¹ الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، ط1، 1966، ص59.

² اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، عبد الجليل مرتاض، ص31.

³ المرجع نفسه، ص47.

عن ابن عباس أنه قال: "كنت لا أدري ما القناح، وكنت لا أدري ما "فاطر السماوات" حتى سمعت أعرابيا ينازع في بئر فقال: أنا فطرتها، يريد أنشأتها"¹.

ثم تحدّث لنا عن مواقع الرواة ممثلاً لنا هنا بشخصية "أبي عمرو بن العلاء" الذي يعد من أشهر الرواة الذين اعتمدوا المواقع الجغرافية مدونة مفضلة لديهم، وذكر لنا القبائل التي كان يلجأ إليها أو يرتاح إليها ويأخذ منها "عمرو بن العلاء" والتي منها: طيء، أسد، تميم، هوزان، هذيل، ثقيف وهذا ما بيّنه عبد الجليل مرتاض في أطلس لغوي.

وطرح في الفصل الرابع: التّموضّعات الجغرافية للتّكلمات اللهجية المحلية واصفا ومحللاً
إياها، ففي بداية هذا الفصل بيّن إدراك العرب وتمييزهم بين اللسان واللغة والكلام، ثم بعدها قدّم لنا بعض الأمثلة عن الاختلافات اللسانية ليبيّن لنا من خلالها الصّراع بين الخطاب العام والعامل الجغرافي، فكثيراً ما كان العامل الجغرافي الفصل الفاصل في أعوص التراكيب السانتاكتية، وبعد تحدّث عن اللغويين العرب القدامى الذين كانوا يُفصّلون ويميلون إلى تكلمات لهجية محلية على تكلمات أخرى، وهذا ما أرجعه "عبد الجليل مرتاض" إمّا لعامل ذاتي أو عامل جهوي مثلما نجد ذلك لدى "ابن دريد" وإمّا لعامل لساني كما نجد في القراءات الشواذ، ممثلاً لنا هنا معجم "جوهرة العرب لابن دريد" الذي يحتوي على حوالي تسعة وعشرين لهجة الموزعة توزيعاً جغرافياً وكان "ابن دريد" يميل إلى لهجته اليمنية التي لاحظ فيها إهمالا من اللغويين الذين سبقوه، والمتتبع لألفاظ معجم "جمهرة العرب" يجد فيه كلمات تدلّ على عادات اليمنيين في تعايشهم وعاداتهم وتقاليدهم التي لا تخلو من الرقيّ والتحضر، وهذه الألفاظ تدلّ على دلالات متباينة على أغراض ووظائف بدائية، حضارية، ثقافية، وعلمية، ومن بين هذه الألفاظ التي استدلّ بها "عبد الجليل مرتاض":

¹ اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، عبد الجليل مرتاض، ص 49.

المتبنة: كيس تتخذ فيه المرأة مرآتها وأدواتها الخاصة بزینتها على نحو النساء العصريات اليوم.

الجَوْبَجَةُ: ورم يصيب الانسان في بدنه كانتفاخ البطن نحو ذلك في الامراض¹.

العَصَبُ: القطن

القَلِيبُ: الذئب².

ثم إنتقل عبد الجليل مرتاض بعد ذلك إلى الحديث عن التباينات الدلالية التي عرّفها العربية الجاهلية على مستوى المناطق الجغرافية للبلاد العربية كلها مثل كلمة "المشايع" في لهجة "هذيل" الجاد وفي لهجة أهل نجد المشايخ يعني "المحاذر"³ والسدفة في لغة تميم تعني "الظلمة" وفي لغة قيس وأهل مكة "الضوء"⁴ فكلمة واحدة نجد لها عدّة دلالات في مناطق وقبائل مختلفة.

أما الفصل الخامس: حدد فيه معالم اللسانيات الجغرافية في التراث العربي، حيث أن العرب عرفت جنس اللسانيات الجغرافية قبل أن يعرفوا جنس علم اللهجات، وهذا ما نلتمسه في العديد من المؤلفات القديمة مثلاً: "طبقات فحو الشعراء الابن سلام الجمعي" فهو علاوة على إirاده عرضاً لبعض التراكيب اللغوية التي لمح إليها جغرافياً، نراه يوزع الشعر العربي على مستوى القبائل إنطلاقاً من منطقة ربيعة ومروراً بمنطقة قيس وانتهاء إلى تميم".

كما نجد كذلك القراء الشواذ للقرآن الكريم مؤرّعين توزيعاً جغرافياً في أشهر المناطق العلمية والفكرية الناشئة مثل: مكة ومن يمثلها ابن أبي عمارة الذي روى عنه أبو عمرو ابن

¹ اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، عبد الجليل مرتاض، ص78.

² المرجع نفسه، ص79.

³ المرجع نفسه، ص83.

⁴ المرجع نفسه، ص84.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

علاء....وغيرهما من المناطق ومن القراء الشواذ الذين جاء بهم "عبد الجليل مرتاض" واستدل بهم، وذكر كذلك أنواع القراءات القرآنية والتي من بينها:

1- القراءة القرآنية الجغرافية الواسطة وهي موجودة في القرآن.

2- القراءة الشاذة مثل: قراءة ابن شنيوذ وغيره وهذه ضيقة الجغرافيا.

الفصل السادس: كان عنوانه: "علم اللهجات الأدبي" وفيه قارن بين علم اللهجات الأدبي وعلم اللهجات اللغوي، فالأول عرفه على أنه "الدراسة العلمية للتكلمات الأدبية التي يمكن للمتكلم أن يغيرها أو يحورها وإلا فسد المعنى أو ضوّلت الدلالة وبردت"¹ وهو جنس أدبي يدرس دراسةً أدبية علميةً مستقلةً كما أن هذا العلم وصفي يصارع من أجل هوية النص وبرأته الأدبية، ويقاوم من أجل إخضاع بنية القواعد إلى بنية النصية أو على الأقل يُحاول أن يكون في منأى عن بنيتها المعيارية الصلبة لتحرير المتكلم من عبوديتها² وأما الثاني "يعني الوقوف على ما يدور من تكلمات ونصوص وتراكيب شفوية وكتابية في حقل علم اللهجات الأدبي.... فأحدهما يقبل المدونة بكل إشكالياتها الطبيعية، وآخرهما يستحضر الوصف أو تبرير هذه المدونة³ وهذان العلمان متداخلان ومتشابكان لا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر.

إلا أن العرب لم يكونوا على مستوى واحد بالنسبة للمعرفة اللسانية الشفوية وليس كل العرب يعرفون اللغة كلها، وتباينت المستويات اللغوية، لم يكن ليشتمل زما دون زمن ولا موقعا دون موقع، وفي هذا الصدد قدم لنا "عبد الجليل مرتاض" بعض النماذج من المستويات اللغوية وبعض التراكيب التي قد يخرج الخطاب بها كما هو معتاد في القاعدة العامة، كجعل العرب الواحد في موضع الجمع من ذلك قوله تعالى: {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً} الحج 5، ولم يقل نخرجكم أطفالا، وكذلك

¹ اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، عبد الجليل مرتاض، ص133

² المرجع نفسه، ص154.

³ المرجع نفسه، ص155.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

تأنيث العرب للمذكر، حيث روى الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلا من أهل اليمن يقول: "فلان لغوب جادته كتابي؟ فقال نعم أليست بصحيفة"¹.

وكان غرض "عبد الجليل مرتاض" من الاتيان بهذه النماذج من التراكيب أن يرجع منهج ورؤية سيبويه في التعامل التحتي مع الخطاب العربي من جهته.

وتحدث أيضا عن الابدالات الصوتية التي وجدها الدارسون في الخطاب الشفوي، وفي هذا يقول أبو الطيب اللغوي (ت، 351هـ): "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد"² ومن أمثلة هذا زغيب بن نسير الغبري:

نَظَرْتُ بِأَعْلَى الصُّوقِ وَالْبَابُ دُونَهُ إِلَى نَعْمِ تَرَعَى قَوَافِي مِسْرَهُ³

وهو يريد بالصُّوق السوق⁴.

ومن خلال هذا نستنتج أن "عبد الجليل مرتاض" ومن خلال كتابه "اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي" أنه من بين العلماء الأوائل الذين كان لهم الفضل والأسبقية في تقديم شروحات وتفصيلات عن اللسانيات الجغرافية بمختلف ما تحمله من قضايا وخاصة ما تعلق باللهجات والأطالس اللغوية والتوزيع الجغرافي للمناطق الجغرافية وهذا ما تهتم به اللسانيات

¹ الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد النجار، دار الهدى، بيروت، د ط، 1952م، ص416.

² المزهري في اللغة، السيوطي، تحقيق جاد المولى وآخرا، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1418هـ / 1998م، ص460.

³ طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق، محمد شاعر، مطبعة المدني، القاهرة، ط 1، 2000م، ص79، 80.

⁴ اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، عبد الجليل مرتاض، ص142.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

الجغرافية بالدرجة الأولى كما أنه بيّن أسبقية اللغويين العرب في دراسة هذا المجال فقد قدموا الكثير للدرس اللساني الجغرافي والدّرس اللّغوي الغربي ما هو إلا امتداد للدرس اللغوي العربي فالغرب قاموا بتعديل بعض المسائل وتنظيمها بينما الأساس واللّب والأصل هو ما قدمه العرب وما غاب عن اللغويين العرب في ذلك الوقت هو الآليات والأدوات الجغرافية الحديثة التي ساعدت العلماء اللسانيين الجغرافيين الغربيين المحدثون كثيرا في تطوير اللسانيات الجغرافية وتبقى للسانيين الجغرافيين العرب بصمة لامعة وبرّاقة لا يستطيع أحد إطفاء نورها وتُعدّ إنجازاتهم تاريخا عربيا ممتدا عبر العصور.

ب/ اللسانيات الجغرافية عند إبراهيم أنيس: في كتابه "في اللهجات العربية"

➤ معلومات حول الكتاب:

اسم الكتاب: في اللهجات العربية.

اسم الكاتب: الدكتور إبراهيم أنيس، أستاذ بكلية دار العلوم القاهرة، وعضو مجمع اللغة العربية سابقا.

دار النشر: مكتبة الأنجلو المصرية 165 شارع هـ

سنة النشر: 2003م.

تناول هذا الكتاب ثمانية فصول وهي كالاتي:

الفصل الأول: اللهجة.

الفصل الثاني: اللغة واللهجات قبل الإسلام.

الفصل الثالث: بين القراءات واللهجات.

الفصل الرابع: عناصر اللهجات العربية وقبائلها.

الفصل الخامس: اللهجات، الدلالة والبنية.

الفصل السادس: الترادف والمشارك اللفظي والتضاد.

الفصل السابع: هل اللغة العربية لغة بدوية؟

الفصل الثامن: اللهجات الحديثة.

وكل هذه الفصول جزء لا يتجزأ من اللسانيات الجغرافية واللهجة من بين أهم القضايا التي تتناولها اللسانيات الجغرافية بل هي المحور الأساسي في أي دراسة لسانية جغرافية لأن اللسانيات الجغرافية هي دراسة اللغة التي هي مجموعة من اللهجات ضمن مجال جغرافي أو حدود جغرافية التي أصبحت مجسدة في خرائط لغوية التي تسمى بالأطالس اللغوية.

❖ دراسة "إبراهيم أنيس للهجة" في الفصل الأول: اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تُيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة.

فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص فاللغة تشمل عادة على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية، والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات¹.

¹ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط، 2003م، ص15.

والصفات التي تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان وقد ذكر إبراهيم أنيس في هذا الكتاب مجموعة من الأمثلة عن الاختلاف الصوتي، وتتميز بيئة اللهجة بصفات صوتية تخالف كل المخالفة أو بعضها صفات اللهجات الأخرى في اللغة الواحدة، غير أن اللهجة قد تتميز أيضا بقليل من صفات ترجع إلى بنية الكلمة ونسجها، أو معاني بعض الكلمات، ولا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها، وفي معظم الأسس التي تخضع لها بنية الكلمة، وفوق هذا وذاك في تركيب الجمل، فإذا اختلفت معاني معظم الكلمات واتخذت أسسا خاصة في بنية كلماتها وقواعد خاصة في تركيب جملها لا تسمى حينئذ لهجة، بل لغة مستقلة وإن ظلت تتصل وغيرها بوشائج تجعلها تنتمي إلى فصيلة واحدة من الفصائل اللغوية¹. فالفصيلة اللغوية تتألف من عدة لغات ترجع جميعها إلى أرومة واحدة وقد احتفظت كل منها بصفات يسهل على اللغويين إرجاعها إلى ذلك الأصل القديم².

وتتباعد اللهجات وتتقارب بعضها من بعض على قدر اشتغالها على الصفات السابقة، وعلى قدر شُيوع تلك الصفات، فقد يكون للغة الواحدة لهجات متقاربة، لا يفرق بين لهجة أو أخرى منها سوى صفتين أو ثلاثة من تلك الصفات، في حين أن لهجات بعض اللغات متباعدة لا تكاد تستبين للسامعين ولا يكاد يفهمها كل الأفراد في شعب من الشعوب، كما تلعب الظروف الاجتماعية دور كبير في توليد أنواع من اللهجات الخاصة عند أصحاب الحرف مثلا أو بين النُصوص³.

¹ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص16.

² المرجع نفسه، ص17.

³ المرجع نفسه، ص18.

وهكذا لا يكاد ينتهي مثل هذا التشعب في اللهجات، لهذا يكتفي المحدثون في غالب الأحيان بالنظر إلى صفات اللهجة العامة، تلك الصفات التي تُنظَّم جميع الأفراد في منطقة جغرافية واحدة، ويمكن أن نقول عن بروز صفات خاصة إلا شعور المستمعين بوجود اختلاف بينها وبين صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة ويؤكد إبراهيم أنيس أن لا وجود رابط بين اللهجة الواحدة ككتلة متميزة، وبين سعة بيئتها وعدد سكانها فقد تتكون لهجة مستقلة في بيئة جغرافية ضيقة قليلة السكان، غير أننا نلاحظ بصفة عامة أن اللهجات العربية القديمة كانت منعزلة في بيئات ضيقة قليلة السكّان، في حين أن اللهجات العربية الحديثة قد اتسعت رقعتها وكثُر المُتكلِّمون بها.¹

➤ كيف تتكون اللهجات؟:

هناك عاملين رئيسيان يعزى إليهما الفضل في تكوّن اللهجات في العالم وهما.

1- الإنعزال بين بيئات الشعب الواحد.

2- الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات.

وقد شهد التاريخ نشوء عدّة لغات مستقلة للغة الواحدة نتيجة أحد هذين العاملين أو كليهما معا.

فحين تتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها، وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية، نستطيع الحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدّة، فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك بين بيئات اللغة الواحدة، ويترتب عن هذا الانفصال قلة احتكاك أبناء الشعب الواحد ببعضهم ببعض، أو إنعزالهم بعضهم عن بعض، ويتبع هذا أن تتكوّن مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين أن تتطور

¹ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص18، 19.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

تطوّرا مستقلا.¹ وقد ضرب "إبراهيم أنيس" مثال عن الإنعزال الذي حدث للهجات العربية القديمة جزيرة العرب قبل الإسلام، فانتشار اللغة الواحدة في بيئات منعزلة يكون لهجات لا تلبث أن تستقلّ وتتميز بصفات خاصة.

أمّا العامل الرئيسي الثاني لتكوين اللهجات فهو الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة، فقد يغزو شعب من الشعوب أرضا يتكلّم أهلها لغة أخرى، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين وتكون النتيجة عادة إمّا القضاء على إحدى اللغتين قضاء يكاد يكون تامّا، أو ينشأ من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغرّوة، يشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك.²

ج/ مجلة التراث العربي: هي مجلة فصيلة محكمة تصدر من إتحاد الكتاب العرب بدمشق بعنوان "التفكير اللغوي عند الجغرافيين الرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة" للدكتور "مازن عوض الوعر".

➤ معلومات عن الجريدة:

هي مجلة فصيلة العدد: (104) ذو الحجة 1427هـ، (كانون الأول) 2006م.

- المدير المسؤول: د. حسين جمعة.

- رئيس التحرير: د. محمود الريدادي.

تضم هذه الجريدة مجموعة من المحتويات من بين هذه المحتويات "التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة" "مازن الوعر".

¹ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص20.

² المرجع نفسه، ص20، 21.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

ولقد عمد الدكتور مازن الوعر إلى دراسة الكتب الجغرافية بمنظور لساني دراسة تحليلية للجوانب التي بحثت في لغات الأقاليم ووصفها وصفا دقيقا مصحوبا بطرح لأبرز القضايا التي تهتم باللغة، وعلاقة ذلك بعلم اللغة الجغرافي اعتمادا على المنهج العلمي بهدف الكشف عن الشخصية اللغوية عند الجغرافيين والرحالة العرب.¹

تحدث مازن الوعر في هذه المجلة في محورها الأول عن بعض المؤلفات الجغرافية حيث نقد المؤلفات الجغرافية من مصادر التاريخ الإسلامي المكتوبة ذلك أن التاريخ والجغرافيا كانوا يطلقون عليه اسم الأدب بوجه عام، وكانت المؤلفات في بدايتها قاصرة على الجزيرة العربية والبادية.

وعندما اتسعت رقعة الدولة العربية إزداد إهتمام العرب بالتأليف في هذا المجال واتجه نحو وصف الأقاليم الجديدة، ويمكن تصنيف تلك المؤلفات تحت مُسمّى المدرسة العربية المتأثرة بجغرافية اليونان إلى أن ظهرت مدرسة عربية خالصة تمثل دور النضج في الجغرافية عند العرب في القرن الرابع الهجري نتج عنها أربعة اتجاهات:

✓ مصنفات إهتمت إهتماما شديدا بوصف أقطار العالم الإسلامي أو البلدان أو الممالك.

✓ مصنفات تخصصت في قطر واحد.

✓ مصنفات إهتمت بوضع معاجم جغرافية.

✓ مصنفات موسوعية.

في حين إتخذت بعض المؤلفات طريقة السرد القصصي لنقل المعرفة الجغرافية خلال رحلة طويلة قام بها المصنف.

¹ التفكير اللغوي عند الجغرافيين الرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مازن عوض الوعر، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد (104)، 1427هـ/2006م، ص167.

ولا يخفى تأثيرات الرحلات تأثيراً كثيراً في الآداب العربية، ولقد شق المنهج المعجمي طريقه إلى المصنفات الجغرافية العربية، واتخذ مسلكاً واضحاً يدل على الإبداع والابتكار¹.

وقد أولت المعاجم الجغرافية اهتماماً خاصاً بضبط أسماء المدن والبلدان والبحار وغيرها من الظواهر الجغرافية، وهو ما يُشير إلى جانب لغوي مهم، وخير مثال على ذلك كتاب البكري، الآنف الذكر عدّه الباحثين مرحلة إنتقالية بين اللّغة والجغرافيا.²

فما تهتم به الدّراسة في هذا المحور هو محاولة تسليط الضّوء على الجانب اللّغوي لشخصيته الموسوعيّة على المساهمة في تطوير دراسة مراحل التّحليل اللّغوي، وربطه بلغ اللّغة الجغرافي الحديث لبعض العلماء المتخصصين في الجغرافية مثل ابن فرداذبة (205_300هـ)، (820_912هـ) والمسعودي (ت345_957هـ) صاحب كتاب الرّحلة إلى بلاد الترك والحرز والروس والمتقالبه) الرسالة، اخوان الصفا..... إلخ.³

المحور الثاني: مستويات التحليل اللّغوي في نماذج من أمهات الكتب الجغرافية والهدف من هذا المحور هو محاولة رسم الملامح اللغوية العامة عند الجغرافيين العرب وإبرازها عن طريق استخلاص بعض القضايا اللغوية التي يتضح لنا خلالها أسلوب التفكير اللغوي لديهم.

سنتناول هذه القضايا اللغوية التي عالجها الجغرافيين العرب في مؤلفاتهم وهي تنحصر في المستويات التالية: المستوى الصّوتي، الصّرفي، النحوي، الدّلالي والمعجمي.⁴

¹ مجلة التراث العربي، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مازن الوعر، العدد 104، ص171.

² المرجع نفسه، ص 172.

³ المرجع نفسه، ص179.

1. المستوى الصوتي:

إهتم الجغرافيون والرحالة العرب بمعالجة بعض القضايا الصوتية في مؤلفاتهم ودرسوا اللغة دراسة صوتية على نحو ما نجده عند إخوان الصفا في الرسالة الخامسة في الموسيقى من رسائل القسم الأول وهو القسم الرياضي، فقسموا الأصوات إلى أصوات حيوانية وأصوات غير حيوانية ثم قسموا غير الحيوانية إلى نوعين: طبيعية وآلية، والحيوانية إلى نوعين أيضا: منطقية وغير منطقية والمنطقية فيها نوعين دالة وغير دالة فالدالة هي الكلام والغير الدالة كل صوت لا هجاء له كالضحك والبكاء¹....موضحين كيفية إدراك القوة السمعية لهذه الأصوات في فصل أطلقوا عليه (كيفية إدراك القوة السامعة للأصوات)².

كما عالجوا اختلاف الأصوات في الصغر والكبر، وامتزاجها وتنافرها والفوارق بينها ثم عمدوا بعد ذلك إلى تحليل الأصوات تحليلا فيزيائيا وفسولوجيا، وهم يقرون سبب اختلاف اللغات إلى اختلاف مخارج الحروف، وأن ضعف الصوت ينتج عن فساد اللسان وغلبة بعض الطبائع.

ثم بعد ذلك وضّحوا بأن الناس مختلفون في لغاتهم وغير مُتّقين في الحروف التي يقع فيها الخطأ والعدول بها عن إستوائها إلى خلافهما موضحين الأعراض التي قد يُصاب بها اللسان أثناء النطق فتفسد الكلام مثل التمتمة، العقلة، الحكلة.... إلخ حتّى إنهم قد أفردوا فصلا عن معرفة الحروف وبداياتها وكيفية نشأتها وتطورها حتّى كمل عددها وأصبحت ثمانية وعشرون حرفا.

¹ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، دار بيروت، د ط، ج 1، 1377هـ، 1957م، ص 177.

² المرجع نفسه، ص 179.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

ولم يكن إخوان الصفا وحدهم من بين جغرافي العرب وفلاسفتهم الذين اهتموا بدراسة الأصوات والحروف، بل هناك عدد كبير منهم تناول دراسة الأصوات وتحليلها "كالبيروني" في عدة من مؤلفاته فهو قد درس مثلاً الأصوات الهندية وتحدث عنها وعن تاريخ حروفها.

والواقع نستطيع أن نلمح في مؤلفات الجغرافيين العرب مجموعة من القضايا والمسائل الصوتية التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

1- إبدال صوت مكان صوت آخر في الكلمة.

2- محاكاة اللفظ صوتها.

3- وصف الأصوات في بعض اللغات: إن الجغرافيين العرب وفي معرض حديثهم عن اللغات كثيراً ما يتعرضون لوصف أصوات لغات الأقاليم الأخرى التي يزورونها، وكيف أن فيها طولا ومدا ولجاجة وبردا وطنبا...إلخ.

2. المستوى الصرفي:

عالج الجغرافيين العرب في هذا المستوى مجموعة من المسائل الصرفية "فالمقدسي" يعرض في كتابه مجموعة من التغيرات الصرفية التي تطرأ على بعض الكلمات في بعض اللغات نتيجة إضافة بعض اللواحق، أو المقاطع التصريفية كقوله "أهل الري يُغَيِّرون أسمائهم يقولون لعلي وحسن وأحمد علكا، حسكا، حمكا".

يمكننا أن نوجز أهم القضايا والمسائل الصرفية التي تناولها الجغرافيون العرب في النقاط التالية:

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

(1) الاشتقاق: ولعل اهتمام الجغرافيون العرب بذكر أصول الألفاظ واشتقاقاتها وتصاريحها

المختلفة، يظهر جلياً في مؤلفاتهم ويستخدمون الاشتقاق في بعض أسماء المدن

والأنهار والمعادن...إلخ.

(2) النسبة¹: إنّ من أهم القضايا والمسائل الصرفية التي عالجها الجغرافيون العرب في

مؤلفاتهم "النسبة" فهم لم يكتفوا برد المنسوب إلى المنسوب إليه بل ذكروا بعض الأحكام بقواعد

التصريف نجدهم يُشَبِّهون النظير بالنظير، ويضربون الأمثلة على المنسوب للتوكيد والتوضيح.

(3) أقسام الاسم من حيث:

أ. التذكير والتأنيث.

ب. من حيث الأفراد والتنثنية والجمع.

ج. من حيث التجردة والزيادة.

(4) أقسام الفعل من حيث الصحة والاختلال.

3. المستوى النحوي:

كما وجدنا لدى الجغرافيين العرب مجموعة من القضايا اللغوية التي تتدرج في المستوى

النحوي فقد تناولوا بعض القواعد النحوية بالدراسة والتحليل، بالإضافة أنهم قد تحدثوا عن علم

النحو في العربية وكذلك نجدهم يتحدثون عن علم النحو في بعض اللغات الأخرى كحديث

"البيروني" في تحقيق ما للهند عن علم النحو عند الهنود وسبب وضعه وعن علامتهم الإعرابية

أيضاً.

¹ تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1397هـ، 1977م، 97.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

1- إقتراض اللفظة الأعجمية وإستخدامها وإدخالها في الجملة العربية أو في التراكيب العربية.

2- الإهتمام بسلامة التركيب العربي في الجملة العربية: لقد وجدنا بعض الجغرافيين مهتمين بسلامة التركيب أو الجملة في نصوصهم فيصيبون الخطأ ويُقَوِّمون اللَّحْنَ.

3- الإهتمام بذكر التقسيمات والتعريفات لبعض المصطلحات النحوية كتعريف "إخوان الصفا" للاسم وتعريفهم أيضا للجنس وتوضيحهم لأقسام الكلام وذكرهم أيضا لمجموعة مصطلحات النحو مثل الصفة والموصوف والنعت والمنعوت والناعت.¹

4. المستوى الدلالي:

أكثر القضايا اللغوية التي عرضها الجغرافيون العرب في مؤلفاتهم، والتي تتدرج في هذا المستوى، يمكننا تلخيصها في النقاط التالية:

1- **الترادف:** وأمثلة الترادف في مؤلفات الجغرافيين العرب كثيرة ولا سيما أنهم قد درسوا لغات الأقاليم والبلدان التي دخلوها ومروا بها.

2- **المشترك اللفظي:** لقد وردت مجموعة كبيرة من الأمثلة على المشترك اللفظي في مؤلفات الجغرافيين العرب والمشارك اللفظي هو اللفظ الذي يحمل أكثر من معنى²

3- **الحقول الدلالية:** الألفاظ التي كان الجغرافيون العرب يستخدمونها بكثرة في مؤلفاتهم والتي يمكن أن تكون لنا حقلا دلاليا فهي كالآتي:

أ/ ألفاظ النباتات

¹ رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ص394.

² مجلة التراث العربي، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مازن الوعر، العدد 104، ص186.

ب/ أسماء خاصة بأسماء الملوك وألقابهم.

ج/ ألفاظ خاصة بالنجوم والكواكب... إلخ

كما تحدث مازن وعرف في كتابه التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة عن الارهاصات الأولى للسانيات الجغرافية العربية واعتبرها أنها بدأت مع الخليل بن أحمد الفراهيدي بوضع نظرية العامل على أسس اللغات أو اللهجات التي عدّها نقيّة آنذاك وقد تكون البذرة الأخرى لبروز هذا العلم هو الاندماج في مجتمع البصرة والكوفة بين العرب وغير العرب.

❖ اللسانيات الجغرافية واستشراق المستقبل على ضوء الماضي:

إنّ من أولويات اللسانيات الجغرافية أن يقوم الباحث بعملية مسح جغرافي للغات التي خضعت إلى فكرة التأثير والتأثر، ليتمكن من معرفة تحديد الافتراض اللغوي في ألفاظ الحضارات والعلوم، وليتمكن أيضاً من تحديد الأصول التي انحدرت منها بعض الألفاظ في لغة ما ليستطيع دراستها صوتياً وصرفياً عن بعدها المعجمي والدلالي وما يطرأ عليها عندما تدخل في تركيب جملي وذلك إذا ما اعتمد الباحث دراسة أبعاد إجتماعية ليتمكن خلالها من معرفة مدى التأثير والتأثر الإجتماعي والتداخل العرقي في البيئة الواحدة.

إذن المسح الجغرافي، وبخاصة ما جاء في كتب الجغرافيين والرحالة العرب يعطي فكرة بيّنة عن حركة اللهجات العربية القديمة وعند تداخل هذه اللهجات مع بعضها بعضاً أو تداخلها مع لغات أخرى.¹

¹ مجلة التراث العربي، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مازن الوعر، العدد 104، ص194.

والجغرافيين والرحالة العرب قد قدموا تراثا يمكن الإعتماد عليه في هذا الميدان ولا سيما أنهم كانوا يتحدثون عن الأماكن وإرتباط القبائل بها ثم حركة هذه القبائل، ومن ثم فإن حركة اللهجات واللغات ترتبط بها سواء كان ذلك بأثر العوامل التجارية، والعوامل السياسية....

إن الحاجة إلى القيام بمسح جغرافي لغوي لما في كتب الجغرافيين والرحالة العرب القدماء لا تقل عنها الحاجة التي مثل هذا في العصر الحالي، فقد أخذت حركة الإتساع بين العربية ولهجاتها تزداد وبين اللهجات بعضها مع بعض تزداد أيضا، والإحتكام إلى العربية الفصحى القديمة ما يزال وفقا لمعاييرها، مع أن حركة اللغة أمر تفرضه اللغة ولا يفرضه العلماء في مكاتبتهم أو على صفحات كتبهم فالحاجة إلى أن تستوعب العربية بمعاييرها القديمة وما تنصرف إليه عربية الإنسان المعاصر أمر لا مفر منه وإلا فإنها ستقود إلى تباين يصعب التنبؤ بأبعاده في المستقبل ويبدو أن بعض المعاهد العلمية قد أدركت ما للمسح الجغرافي المعاصر من أهمية، فأخذت تدعم بعض المشاريع لدراسة لهجات قطر معين أو منطقة في قطر معين وهذا أمر نافع جدًا يمكن أن يستتبط منه ما يمكن أن يغذي العربية الفصحى أو يسهم في نموها وتطورها بل أن يرفدها ليجد من الفجوة التي بينها وبين أمها العربية المشتركة ويجب أن تعتمد هذه البحوث على الكتب الجغرافية أو كتب الرحلات.¹

¹ مجلة التراث العربي، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مازن الوعر، العدد 104، ص195.

2_ اللسانيات الجغرافية والدرس اللساني الغربي:

أ/ عند دي سوسير:

➤ أثر فرديناند دي سوسير في وجود الأطلس اللغوي:

لا شك أنّ اللسانيات الجغرافية واحدة من العلوم اللغوية الحديثة التي تُعنى بدراسة اللغة في سياقها اللساني الجغرافي، كما أن اللهجات التي تنبثق من عباءة اللغة العربية، ما هي إلا انعكاس حقيقي للتنوع البيئي والقبلي والموقع الجغرافي لأفراد المجتمع.

إنّ علم اللسانيات الجغرافية Géographie Linguistique أو علم اللغة الجغرافي أو علم اللغة الإقليمي هو جزء من علم اللهجات التي تنوعت بين المجتمعات تبعا لتنوع المكان والموقع الجغرافي والبيئة، وهذا العلم يهتم بدراسة الفروق المحلية أو الإقليمية الخاصة بلغة ما، كما أنّه يُبيّن حدود الظواهر اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية من خلال مصور لغوي (الأطلس اللغوي) الذي يوضّح المناطق اللغوية وحدودها¹.

لقد أسهم دي سوسير في بناء أسس علم اللسانيات الجغرافية حيث تناول تنوع اللغات، وتعدّد التنوّع الجغرافي وتعايش اللّغات في بقعة معينة، وأسباب التنوّع الجغرافي، فهذا العلم يجمع بين اللسانيّات والجغرافيا².

يهتم علم اللسانيات الجغرافية بدراسة التوزيع الجغرافي للغات الإنسانية على أجزاء الكرة الأرضية، وتوضيح ذلك من خلال الأطلس اللغوي الذي يتضمن معلومات تحدد عدد المتكلمين

¹ مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، فرديناند دي سوسير وتأسيس المفاهيم لامات للسانيات والانسانيات، قسم التعليم الأساسي كلية التربية، د. نها بدرية 156؛ 136 pp ، N02 ؛ vol29 ، ص151.

² المرجع نفسه، ص151.

بلغة ما، مع بيان طبيعة اللغة بالنسبة لهم، أي لغتهم الأم، أم لغة احتلالية تحولت إلى لغة رسمية بفعل السيطرة والغزو والهجرة والاحتلال لمناطق كانت تابعة لغيرها وفرض الأمر الواقع على الأرض؟ كما يرتبط بحالة الجو، وطبيعة الأرض، وما تشتمل عليه من تضاريس وجبال وهضاب وخلجان والحدود الطبيعية بين الأمم.

كما يهتم علم اللسانيات الجغرافية بدراسة انتشار اللغة وانحسارها وصراعها مع غيرها وانتصارها أو هزيمتها، ويبين أهميتها من الجوانب السياسية والاقتصادية والتعليمية والثقافية، ويشغل بالبحث في اختلاف اللهجات داخل اللغة الواحدة أو اختلاف في نطق حرف واحد من اللغة والأسباب التي تتعلق بطبيعة البيئة أو المنطقة الجغرافية.

ونستنتج من هنا أنّ فرديناند دي سوسير أثر تأثيراً كبيراً في لساني بلاد المغرب العربي خاصة، حيث كان لهم دور في بلورة رؤى نقدية ومفاهيمية تأثر سوسير بها ومن أبرزهم: عبد الرحمان الحاج صالح وأحمد الأخضر غزال وعبد القادر الفاسي وأحمد المتوكل وعبد السلام المسدي وصالح الرمادي.¹

ب/ عند ماريوباي في كتابه أسس علم اللغة:

القسم السادس من الكتاب: علم الجغرافي (إصطلاحات ومصاحب رئيسية)

➤ وظيفة علم اللغة الجغرافي:

إنّ موضوع علم اللغة الجغرافي، الذي يشمل لغات العالم بأسرها، نادراً إن لم يكن معدوماً ما يعالج في منهج دراسي عادي في مرحلة الدراسة العليا أو الجامعية، التي تتناول اللغات معزولة

¹ مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، فرديناند دي سوسير وتأسيس المفاهيم لأُمات اللسانيات والانسانيات، ص152.

بعض عن بعض، ولا تُبالي بالأل إلى غير القواعد النحويّة والقضايا الأدبيّة، ومن أجل هذا فإنّ الشخص المتعلم العادي كثيرا ما يخرج من دراسته العالية إمّا بتصور خاطئ أو مُبالغ فيه عن أهميّة لغة أو أكثر من اللّغات الأجنبية التي درسها وإمّا بجهل فاضح بالدور الذي تلعبه لغات أخرى متنوعة في عالمنا اليوم، وهناك حاجة ملحة اليوم لوضع تعليمات يُمكن أن تمدّ دارسي اللّغات بمعلومات أقلّ ما تحويه تعريفهم باللّغات الرئيسيّة في العالم، ومكانها على الخريطة ومن المتكلمون بها وما عددهم وما قيمتهم من الناحية السياسيّة والإقتصاديّة والثقافيّة.

فإنّ هذا النوع من الدّراسة يسوق... يُزوده على الأقلّ بالسمّات الهامّة لتلك اللّغات من ناحيتها المتكلمة والمكتوبة، بقصد التّعرف على الكلّ.

هذا النوع من المعلومات ذو الطابع العلمي بدرجة كبيرة يُشكّل الأساس لعلم اللغة الجغرافي في معناه العام الأولي وهنا ذكر ماريوباي مجموعة اللغات الأكثر إستعمالا مثل اللغة الصينية والبرتغالية والألمانية... إلخ، أما في معناه العلمي المعقد فإنّ علم اللغة الجغرافي يتناول في تفصيل لغات المناطق المتنوعة على وجه الأرض¹، وكيف يمكن الإستفادة منها أو إحلال غيرها محلها، وماذا تمثل من وجهة النظر العمليّة للرجل العسكري والموظّف الحكومي والباحث العلمي.... فلا يكفي أن يعزف الفرد منهم معلومات سريعة عن لغات منطقة معينة إنهم يجب أن يُلقّنوا بعض معلومات عن لغات منطقة أخرى ربما تعرضوا للانتقال المفاجئ إليها.

وبينما تجد بعض مصطلحات علم اللغة الجغرافي تتفق مع مصطلحات علم اللغة الوصفي أو التاريخي، فهناك كثير من المصطلحات كثيرة نادرا ما تُستعمل في الأعمال اللغوية التقليدية.

¹ أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، (1419هـ/1998م)، 294، ص183، 210 بتصرف.

مصطلح اللغة الأهلية، اللغة الوطنية، اللغة الاستعمارية....

ومفهوم المصطلحات اللغة الأساسية والثانوية والمساعدة والبدلية ضرورية في علم اللغة الجغرافي التطبيقي، إنّ اللغة الأساسية لبلد إنّما هي في العادة لغتها البلدية أو الرسمية، إنّها اللغة التي تتمتع بإعتراف الحكومة والتي تستعمل في الوثائق الرسمية ولكن غالبا ما توجد لغة ثانوية يعرفها جمهور كبير من السكان وتُستعمل في مجالات كثيرة، أمّا اللغة المساعدة فهي التي تُستعمل في مجالات خاصة.

أمّا المصطلح التوزيع اللغوي: Linguistic distribution فيُستخدم حيث الحديث عن طريق إنتشار اللغة في مناطق مختلفة في العالم.

أمّا المصطلحات ثنائية اللغة وثلاثية اللغة أو تعدد اللغات: فهي مصطلحات تصف حالات مُعينة حينما يتكلم فرد أو مجموعة ما لغتين أو أكثر على درجة واحدة تقريبا وإنّ ثنائية اللغة من السهل تحقيقها حينما تكون اللغتين مستعملتين جنبا إلى جنب منذ الطفولة. ومن بين المصطلحات التي ترتبط بميدان اللسانيات الجغرافية مصطلح التعرف اللغوي: Language identification وهو يتعلق بالصيغة المكتوبة أو المنطوقة للغة، أو بهما كليهما وهو جزء من علم اللغة الجغرافي مكمل لعلم الأنماط التركيبي.¹ وهناك مصطلح آخر يُسمى بالمنطقة المركزية أو مصطلح مركز الهيئة اللغوية Linguistic prestige centre فيشير إلى المنطقة اللغوية ذات المركز المتميز، والتي يخرج منها الابتكار اللغوي وينتشر خارجا.

كما ترتبط بعلم اللغة الجغرافي عوامل مساعدة من بينها الثقافة، المنحنى الثقافي، الدين، التأثير التاريخي.

¹ أسس علم اللغة، ماريوباي، ص186، 187، 192 بتصرف.

إنَّ عالم اللغة الجغرافي لا بدَّ أن يأخذ في إعتباره المستويين الاجتماعي والثقافي للكلام، وبخاصة حينما يصبحان مهمين من وجهة نظر الاتصال والتفاهم وفي نفس الوقت، وفي حالة اللغات ذوات المجموعات المتكلمة الكبيرة والتي تملك مستوى عالي من الحضارة وقدرًا رفيعًا من الثقافة، قد يبدو مفيدًا للباحث أن يوجه إهتمامه ويشدَّ انتباهه، خاصة بالنسبة للمستوى القومي الذي يتمتع بامتيازات عدّة، فهو لا يتطابق مع اللغة الرسميّة والكتابيّة، وهو ثانياً يتمتع باتساع منطقة نفوذه ولا يتحدد بمنطقة محلية وهو ثالثاً يحمل في طياته كثيراً من الخصائص اللّهجية حتّى بالنسبة للمتكلّمين باللّهجات المحليّة أو الطبقيّة أكثر من معظم سائر التنوعات المحليّة أو اللّهجات الطبقيّة في المنطقة، وإنّه لتوجد في أقطار كثيرة أماكن تتقاسم لغويّاً بين الطبقيّة والمحليّة.

القسم السابع: ماريوباي.

علم اللّغة الجغرافي (منهج البحث)

أ) التعداد السكاني وإحصاءات القراءة والكتابة:

من الموضوعات الأساسيّة لعالم اللغة الجغرافي بيان عدد المتكلّمين بكل لغة من اللغات وتوزيعها الجغرافي، ولحد ما وصفها، ومن هنا فإنّ عالم اللغة الجغرافي يمكن أن يسير خطوة إلى الأمام فيربط اللغات بالعوامل الإقتصادية والسياسية وغيرها، ويكوّن تقديرات لمدى الأهمية الفعلية لكل لغة واستعمالاتها التي يمكن أن توضع فيها.

ومعنى هذا أنّ الأداة الأساسيّة والهامة في يد عالم اللّغة الجغرافي هي الإحصاءات السكانية واللغويّة. وإنّ الإحصاءات السكانيّة للدول جميعها غالباً ما تكون في مُتناول الأيدي وإن كان بعضها لا يوثق بها كثيراً، وإنّ الدول التي ضربت في الحضارة الحديثة بسهم وافر لفترة زمنية معقولة عادة ما تنشر تعدادات دورية دقيقة للسكان وتعد لها من فترة إلى أخرى على حسب ما يحدث من تغيرات وهذه الإحصاءات تسمح لنا بأن نقدر التقدم أو التأخر الرقمي للغة معينة.

أمّا ما نعجز عن إيضاحه في الإحصاءات السكانية فهو بيان الفروق اللغويّة الدقيقة، وإعطاء أحكام تمس بعض القضايا الثانوية، مثل عامل التعدد اللغوي الذي كثيرا ما يلون صور الكلام الوطنية، ومثل اللغات المساعدة والوطنية، وإن مثل هذه المعلومات القيمة التي يهتم بها عالم اللغة الجغرافي قد تقدم له في صورة تقديرات تقريبية مع إحصاءات السكان، وهذا يسمح لنا بأن نعرف عدد المتكلمين في كل بلد.

ويحتاج عالم اللغة الجغرافي إلى مزيد من الدقة إذا هو أراد أن تكون في متناول يده صورة لأحوال اللغات المستعملة في العالم وبهذا يستطيع أن يضيف مباحث تتناول اللغات التي يتكلمها الأفراد ويفهمونها وتعمل هذه الإحصاءات على الكشف عن تأخر المستوى اللغوي التي تقدم فيه هذه النشاطات الموجودة في كل منطقة، فإن هذا في ذاته يعد فائدة وميزة أخرى¹.

(ب) دراسة للمناطق ولغاتها:

لقد تم حتى الآن القيام بقدر لا بأس به من الدراسات التي تشمل المناطق ولغاتها، وإن كان معظم هذه الدراسات قد تعرض للمناطق اللغوية على كل حده دون أن يتناول العالم بأسره وعليه فدراسة المنطقة اللغوية ليست أفضل مثال لعلم اللغة الجغرافي الوليد. إذ في هذه الدراسة تختار منطقة معينة من الكرة الأرضية، وتدرس تفصيلا مع ربط لغات هذه المنطقة بالعوامل الأخرى التي تؤثر فيها مثل الجغرافيا والتاريخ والسياسة والإنتاج والاقتصاد والنشاط الثقافي، وحتى الفن والموسيقى والأدب...وما ينبثق عن هذا يشكل وعيا عاما لغويا جغرافيا يتعلق بمنطقة معينة، ولكنه ما يزال في حاجة إلى نوع من التوازن، واهتمام ببيان الحصة التي يملكها كل مكان على

¹ أسس علم اللغة، ماريوباي، ط8، ص217، 219 بتصرف.

الفصل الأول تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني

حدة. ومع ذلك فهذه الدراسة أفضل بكثير حتى الآن من دراسة لغة ما أو القيام بأي دراسة لغوية في فراغ.¹

¹ أسس علم اللغة، ماريوباي، ص 221، 222.

الفصل الثاني: ملامح اللسانيات الجغرافية في كتاب الخصائص والمحتسب

لابن جني "نماذج مختارة"

المبحث الأول: اللهجات والبيئات الجغرافية في كتابي الخصائص والمحتسب لابن جني.

تمهيد

1. ارهاصاتهما في الدرس اللغوي القديم.
2. شروط أخذ اللغة عند ابن جني.
3. تركيب اللهجات في كتاب الخصائص.

المبحث الثاني: الظواهر اللغوية الجغرافية في كتابي الخصائص والمحتسب لابن جني
(نماذج مختارة).

1. الظواهر الصوتية (الإبدال، القلب، الحذف، الوهم، الوكم، التثنية، التثنية، التثنية، الإمالة).

أ. الإبدال	ب. القلب	ج. الحذف	د. الوهم
هـ. الوكم	و. التثنية	ز. التثنية	ح. الإمالة

2. الظواهر الصرفية

أ. الاشتقاق

ب. النسب

3. الظواهر النحوية

أ) المفعول المطلق

ب) التوهم

ج) التقديم والتأخير

4. الظواهر الدلالية.

أ. الترادف

ب. التضاد

ج. المشترك اللفظي

تمهيد:

أشار ابن جني في كتابه الخصائص إلى أن العربية بعيدة عن لهجاتها، قد جُمِعت ودُوِّنت على يد الرواة، و صنّفها علماء اللّغة إلى أبواب وقسّموها إلى مجالات كل حسب تخصّصه ومجال بحثه، وخير مثال ضربه لنا عن أهل البصرة وأهل الكوفة قديما "فحين نتصوّر لغة من اللّغات قد إتسعت رقعتها وفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو إجتماعية، نستطيع الحكم عن إمكان تشعب هذه الوحدة إلى لهجات عدة، فقد تقصّل جبال أو أنهار أو صحاري أو نحو ذلك بين بيئات اللغة الواحدة، ويترتب هذا الانفصال عن قلة إحتكاك أبناء الشعب الواحد بعضهم ببعض، ويتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللّغوية المنعزلة، التي لا تلبث بعد مرور قرن أو قرنين أن تتطور تطورا مستقلا¹.

والنّحاة والكتاب والمتأدبين المتأملين له وُجب أن يُخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به ويكون له سهم منه له وحصّة فيه².

وتجلّت جل أعماله في بلورته لمنهج أصول النحو، حيث سار به أشواطاً بعيدة وأظهر فيه مقدرة على ترسيم أسسه من خلال ما طرحه من أفكار جديدة في كتابيه "الخصائص" و"المحتسب" حيث أفهما على أصول معينة مستضيئاً بمنهجي السماع والقياس، وقد إستعمل هذه الأصول بمهارة فائقة، اتضحت فيها سمات منهجه الذي لم يلجأ أعلام المدرستين فتحاموا طريق الإلمام به، والخوض في أدنى أوشاله وخلجه³، فكان من أوائل العلماء الذين جمعوا شعاع هذا العلم

¹ في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة أبناء وهبه حسان، د ط، 2003م، ص20.

² الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت، ج1، ص67.

³ المرجع نفسه، ص67.

واقترحوا غماره، فبادر إلى وضع قوانينه ولم أوضاعه كما يقول: "وذلك إن لم نر أحدا من علماء البيان تعرض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه"¹.

واتضح لنا أن ابن جنّي كان يمتلك نظرة منهجية مغايرة لما أصّلّه السابقون للغة العربية، نظرة يقول عنها: "فكل من فرق عن علّة صحيحة، وطريق نهجه كان خليل نفسه وأبا عُمره وفكره"².

إنّ ما أصّلّه ابن جنّي يدفعنا إلى الاعتقاد بأنه قدم إضافة لعلم اللغة عامة، حيث أجرى بعض قواعد منهجه على ضوابط تجاوز فيها ما سنّه اللغويون القدامى، فكان قليلا ما يُأخذ بمعاييرهم السارية كمعياري الزّمان والمكان، إن احتجّ بالقراءات دون مراعاة لتصنيفها، فكان إلى التسليم بصحتها أقرب إلى طبيعة اللغة، فطبق عليه أنواعا من الاقيسة اللغوية لم يعرفها السابقون، واستنبط من خلالها قواعد جديدة للمادة اللغوية على أسس لغوية موضوعية أراد بواسطتها بناء منهجية خاصة في دراسة أصول النحو، تقوم على التكامل بين الواقع اللغوي العربي كما يعرفه عند أهله وحرية تطويره بأدوات التنظير العقلية.

كما ساهمت علوم أخرى من حواضر الثقافة العربية في بلورة منهجيته في تخريج أحكام اللّغة العربية، كما أظهر لنا أن بعض الأسس المنهجية المذكورة في كتابيه "الخصائص" و"المحتسب" لا تزال مفيدة للمعرفة اللّسانية، ومن ثمة يجدر بنا القول: إن بعض قواعد المناهج اللسانية التي أشاد بها كثير من الدّارسين المحدثين مترسبة في تراثنا اللّغوي عامة وفي تراث ابن

¹ الخصائص، ابن جنّي، ص 67

² المرجع نفسه، ص 190.

جني خاصة، ونعتقد أن الإشتغال بها فضيلة وربطها بالدرس اللساني واجب علمي، في مسعى عام هو التأسيس لدرس لساني عربي مخصب بآليات البحث المعاصر.¹

المبحث الأول: اللهجات والبيئات الجغرافية في كتاب الخصائص والمحتسب

لابن جني

1. إرهاباتها في الدرس اللغوي العربي القديم.

أ. جمع المادة اللغوية:

إعتبر ابن جني العربية جزء من كليات الدين، وخاف عليها من الفساد ومن أن يذهب بعضها بسبب شيوع اللحن وفساد ألسنة الناس، فالتمس أسبابا دفعت بالعلماء إلى جمع اللغة، منها العامل اللغوي الذي يتمثل في حرص العرب على ألا يتسرب إلى لغتهم لفظ دخيل، ومن ثمة اعتقد ابن جني أن جمع اللغة يُسهّل إستقراء الظواهر الدخيلة والأصلية، ورأى أن الإعراب بفطرتهم يميزون ما هو أصيل في لسانهم عن غيره، ورأى أن بعض المقاييس النظرية التي اعتمدها العلماء لتسهيل تعريب اللفظ الأعجمي غير مضبوطة، فمازال العرب حين يشتقون من اللفظ الأجنبي يخلطون فيه.²

ناقش ابن جني موضوع الإستقراء اللغوي فاستشعر النقص في العملية نتيجة المعايير التي فرضت على الرواة أثناء عملهم، فمنهم من تعمد جمع لغات قبائل معينة دون غيرها.

¹ أصول النحو عند ابن جني، دراسة لسانية في كتابيه الخصائص والمحتسب، د. رشيد حليم، دار قرطبة للنشر والتوزيع، د ط، 2010م، ص10.

² الخصائص، ابن جني، ص52، 53.

كما أشار ابن جنّي إلى العملية الكبيرة التي قام بها رواة اللغة أثناء الجمع وكتب مقالة طويلة يقول فيها: "وإن انسانا أحاط بقاصي هذه اللغات المنتشرة، ويحجز أذراعها المترامية على سعة البلاد وتعادي ألسنتها اللداد، وكثرة التواضع بين أهلها من حاضر وباد، حتى اغترف جميع كلام الصرحاء والهجناء والعبيد، والإماء في أطرار الأرض ذات الطول والعرض ما بين منشور إلى منظوم ومخطوب به إلى مسجوع حتى لغات الرعاة الأجلاف والرواعي ذوات صرار الإخلاف، وعقلائهم والمدخولين وهذائهم الموسوسين في جدهم، وهزلهم، وحربهم، وسلمهم وتغاير الأحوال عليهم، فلم يخلل من جميع ذلك على سعته وانبعائه، وتناشره واختلافه"¹.

ووجه جهد الدارس إلى المعاينة القريبة للغة المنطوقة كما يحث المنهج اللساني في دعوته إلى أسبقية اللغة المنطوقة على المكتوبة، وتشهد تباين مستويات الاستقراء اللغوي، ولم يختلف في نقد منهج النقل الذي صار عليه القدامى.

ولاحظ ابن جنّي أن المادة المنقولة مايز بينها الاختبار الفردي، حيث فضلت لهجات دون أخرى فاستهجن تلك الطريقة وغاياتها، وأكد على أن من نطق على قياس لغة من لغات العرب غير مخطئ، واعتقد أن الاختلاف بين لهجات القبائل العربية أمر بسيط، فجمع العرب متفق على أن أصول اللهجات العربية تتمتع بخصائص مشتركة.

1 عامل الزمان:

ارتبط تحديد المرحلة التاريخية لعملية الاحتجاج اللغوي بالمحيطين الزماني والجغرافي، وحدد النحاة مرحلة الجمع بقرنين بالنسبة للحواضر وبأربعة بالنسبة للبوادي، وأقر مجمع اللغة بالقاهرة

¹ الخصائص، ابن جنّي، ص 246.

أن فترة الإحتجاج بالنسبة للعرب الذين يوثق بعريبتهم ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، وأهل البدو ومن جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع الهجري.¹

وكان لبعض الرواة تطبيق آخر غير هذا الضبط، فقد ذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه جلس إليه عشرة حجج فما سمعه يحتج ببيت اسلامي² وحدد الاصمعي نهاية فترة الاحتجاج بوفاة الشاعر ابن هرمة وكان سنة 176هـ بينما قسم عهد الاحتجاج إلى عصور الأدب الشهيرة (الجاهلي والإسلامي، والأموي ثم العباسي)، ولا يستشهد بكلام المرحلة الأخيرة إطلاقاً.³ أدرك ابن جني محدودية هذا التقطيع الزمني، فأصل نظرة تقوم على جواز الاحتجاج بأقوال الطبقة الأولى سواء الذين عاشوا في المدن العربية أو الذين عاشوا في بلاد الأجانب، كعدي بن زيد.⁴

كما قدم ابن جني لغة العصرين الراشدي والاموي على الجاهلي معتبراً أن أضخم مادة تصلح للاحتجاج ما قيلت على لسان المولدين، واحتج بأشعارهم كبشار وأبي نواس، ولم يستحسن حجج القدامى لما أقصوا الاستشهاد بالمحدثين، فمثل أشعار أبي تمام والبحثري وغيرهم من الشعراء العباسيين، وتجاوز ابن جني قاعدة الزمن التي أصل لها القدامى وبهذا الفعل ألغى ابن جني بعض سنن القدامى في هذا المجال وانتج لغة المعاصرة ونرى أن ما أصله في هذا الإتجاه قد قربه من أحد قواعد المنهج اللساني الحديث الذي يوصي أصحابه بأسبقية دراسة اللغة الحاضرة التي يستخدمها أفراد المجتمع في واقعهم على اللغة الأدبية المميزة.

¹ الإقتراح السيوطي، تحقيق أحمد محمد قاسم، القاهرة، د ط، 1972، ص8.

² البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط4، 1982م، ص45.

³ المرجع نفسه، ص45.

⁴ الخصائص، ابن جني، ص 41، 108، 388 بتصرف.

2) عامل الزمن والمكان:

ربط اللغويون جمع اللغة بالرقعة الجغرافية، ونظروا إلى البيئة في المحيط اللغوي نظرة عميقة، فقد أوصلوا معنى المكان بفكرة البداوة والحضارة.

ورأيهم في ذلك أن مقياس الكمال في اللغة يعود إلى ارتدادها إلى عصور بعيدة، وتوغلهم في الانعزال عن الواقع، ورأى أن اللغة كلما اقتربت من مظاهر الرقي فقدت بعض خصائصها الطبيعية.¹

وتنافس علماء المدرستين (البصرة والكوفة) حول صلاحية البيئات اللغوية النقية، واقتنع ابن جني في بداية مساره العلمي لما وضعه البصريون من شروط خاصة بالمكان وسار مع نقد الكوفيين، وكتب بابا في الخصائص ضمه طعنه في مروياتهم وعنوانه: (باب في الترك الأخذ من أهل المدر كما أخذ أهل الوبر).²

وذكر ابن جني علة الإمتناع عن الأخذ عن أهل المضر لما عرض للغات الحاضرة من فساد في التركيب وفي هذا الحال يقول: "ولو أعلم أن أهل المدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد لغتهم، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر".³

ودافع ابن جني عن فصاحة الأعراب مهما كان مستقرهم، وأجاز إجتماع لغتين عند الإعراب، وليس ذلك غلطا مقصودا.

¹ المرجع السابق، الإقتراح، السيوطي، ص202.

² الخصائص، ابن جني تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د ط، د ت، ج2، ص5.

³ دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، ص110.

وأشار بعض من الدّارسين إلى أن ابن جنّي كان يجرب في تأصيله لعامل المكان على أصول البصريين.

ونقل السيوطي مقولة عن الفارابي حيث حدّد أهم القبائل التي تعتمد عليها في اللّغة والغريب، وقد ربط فكرة المكان بالجنس والفصاحة يقول: "والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم إقتدى وعندهم أخذ اللسان العربي: هم قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ من غيرهم من يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم.¹

وسعى ابن جنّي إلى توسيع المحيط للمدونة اللغوية ولم يلتفت إلى القواعد الأصلية التي سورها بعض العلماء وتنبه إلى مؤثرات عامل المكان في إمتزاج لغات العرب، فقد وقف على بعض الأصول المشتركة بين عربية الشمال وعربية الجنوب، ولم ينف تبادلهما علاقات التأثير والتأثير لتوفر عوامل الارتباط التاريخية.

وهكذا أخذ ابن جنّي بمبدأ الإلتشار الميداني حيث توسع في الإحتجاج بلغات العرب الممتدة شمالاً وجنوباً ونوع الإستشهاد من البيئات اللغويّة، كما لم ينفق مبدأ تمازج اللغات العربية لتوفر العوامل الإجتماعية والتاريخية وسار بذلك عكس الغاية التي حددها الأوائل وهذا المنحى المنهجي موافق لما سارت عليه الدّراسات اللسانية خاصة ما أصله علم الإجتماع اللساني.

¹ الخصائص، ابن جنّي، ج1، ص283.

(3) الجنس:

صارت العربية في شعور العرب جزء لا يتجزأ من كيانهم ولا يفصل عن عقيدتهم، قال ابن جنّي: "لم يؤتوا هذه اللغة الشريفة المنقادة الكريمة إلا ونفوسهم قابلة لها، محسة لقوة الصنعة فيها معترفة بقدر النعمة عليهم، بما وهب لهم منها"¹.

إشترط القدامى في ناقل اللغة أن يكون عربيا، وظلوا أشدّ التزاما بهذا الضبط، ولم يشترطوا السبب نفسه في ناقل الحديث الشريف، حيث أجاز الأصوليون أن يرويه أجناس أعجمية، فبرز أعلام أجلاء "كالبخاري والنسائي" وشهد لهم العلماء بالصدق والأمانة، بينما ضيق علماء اللغة مجال الرواية وقصروها على جنسهم، غير مبالين بالواقع العلمي، حيث قام علم العربية على العرب وغيرهم.

وتضايق ابن جنّي من سلطة هذا المبدأ المجفف، وأكد أنّ للمستعمرين دورا في تأصيل العربية، وتوصيل آثارها إلى الأجيال ولذلك يرى أن إلقاء هذا الالتزام أمر ضروري وفي هذا يقول "ولما كان النحويين بالعرب لاحقين وعلى سمتهم سمعتهم آخذين [.....] جاز لصاحب هذا العلم² الذي جمع شعاعه وشرع أوضاعه [.....] أن يرى فيه نحو مما رأوا ويحثوه على أمثلهم التي خذوا، وأن يعتقد في هذا الموضع نحو ما اعتقدوا في أمثاله [.....] فاعرف إذا ما نحت عليه العرب مذهباً، ولمن شرع لغتها مضطرباً، وأن "سيبويه" لاحق بهم، وغير بعيد فيهم عنهم.³

ورأى بعض القدامى أن العربية لا يفهم بيانها إلا العرب ولذلك جعلوا مقياس الفصاحة صنعة خاصة بهم، كما اعتبروا فصاحة الإعراب خصيصة وراثية لهم دون سواهم من الشعوب،

¹ الخصائص، ابن جنّي، ج1، ص239.

² يقصد بها سيبويه.

³ الخصائص، ج1، ص808، 809.

حتى لو وفد الأعاجم إلى جزيرة العرب وهم أجنّة، والمروي عنهم كما يقول "ابن جنّي" اعتقادهم أجمل الجميل فيها وأكثر من أن يورد كله أو جزء من أجزاء كثيرة منه¹ ولهذا السبب نقل الأطفال لغات الأطفال والمجانين من سلائل العرب، ورفضوا الاحتجاج بلغة "ابن المقفع" والذي تضاهي فصاحته "الجاحظ" إلا أن ابن "المقفع" فارسي.

وعالج ابن جنّي موضوع الفصاحة من زاويتين:

(1) اعتبار الفصاحة ميزة لسانية تتمتع بها كل اللغات، وتتساوى جميعا في هذا القدر، وكلّ قوم بلغته مشغوف، فلا فضل للغة على أخرى.²

(2) إرتباط الفصاحة بطبائع المتكلمين، وهي بذلك صيغة وراثية مكتسبة، وقد غالى "ابن جنّي" عندما ربطها بعنصر البداوة، ونقل لنا هذا الخبر -للجزم بهذا الموقف- عن ابي حاتم السجستاني (ت250هـ) في كتاب القراءات قال "قر على أعرابي بالحرّم قوله تعالى {طوبى لهم وحسن مئاب}³ الرعد 29، فقلت له طوبى فقال طيبي فتأكدت فقلت: طوبى: فقال طيبي فلما طال علي قلت: طوطو: فقال طي طي، أفلا ترى إلى هذا الاعرابي [.....] كيف بنا طبعه عن ثقل الواو إلى الياء فلم يؤثر في المتلقين⁴.

واعتقد ابن جنّي أن الفصاحة كما ترى ميزة نفسية مكتسبة بالوراثة ما ذهب إليه أحد علماء اللغة المعاصرين وأشار ابن جنّي إلى مظاهر الكلام الفصيح وهو الذي مازال يحافظ على أصوله في التأليف والإعراب والبيان.⁵

¹ الخصائص، ابن جنّي، ج1، ص242.

² المرجع نفسه، ص75، 76.

³ الأسس النفسية لتعليم العربية، د. حنفي بن عيسى، مجلة همزة وصل، د ط، 1991م، ص33.

⁴ الخصائص، ابن جنّي، ج1، ص36.

⁵ المرجع نفسه، ص38

2. شروط أخذ اللغة عند ابن جني:

بين ابن جني قواعد أخرى تخص أخذ اللغة وناقلاها، وأخرى تخص المادة المنقولة، ولقد اخترت أهم تلك الشروط التي ركزنا عليها في الخصائص والمحتسب.

لعل من أهم ثمرات الاتصال بالناس أن الرواة لاحظوا على بعض الأعراب الفصحاء ما يمتلكونه من قدرات تبليغية، دفعتهم إلى توليد ألفاظ عربية جديدة لم تسمع إلا منهم، ولم يعرفها العرب من قبل وخصص "ابن جني" لهذه الفئة بابا سماه "باب في الشيء يسمع من العربي الفصيح لا يسمع من غيره" وحدد فيه مجموعة من المقاييس التي يوصف بها هذا الإنسان الذي يرتجل الألفاظ وأهمها:

(1) أن يكون ذلك الإنسان مشهودا له بقوة البيان، وفصاحة اللسان ومن هؤلاء "ابن الأحمر، وابنه روبة وقد تكلما بألفاظ لم يسمعها الناس من قبلهما، وقد روى الأصمعي بعضها ككلمة "الجبر" وتعني الملك وكلمة "مارية" معناها اللؤلؤية.

وأكد ابن جني صحة المادة المسموعة الفريدة من حيث استعمالها ومدلولها وقال: "فإن الأعرابي إذا قويّت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به فقد حكى عن روبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعانها ولا سبقا إليهما"¹ وعلى نحو من هذا قال أبو عثمان "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"².

(2) أن يكون المتكلم فصيحاً وقد أتى بألفاظ خالف فيها الجمهور وانفرد بها في التواصل مع الناس، والقياس قابل لها، فالأولى أن يحسن الظن به وأن يتقبل نقله، كما يقرر في هذا القول "فإن كان الإنسان فصيحاً في جميع ما عدا ذلك القدر الذي انفرد به وكان ما أورده مما يقبله القياس إلا

¹ الخصائص، ابن جني، ج 2، ص 343.

² المرجع نفسه، ص 21.

أنه لم يرد به استعمال إلا من جهة ذلك الإنسان، فإن الأولى في ذلك أن يُحسن الظن به ولا يحمل على فساد¹.

وأضاف أصلاً تحتكم إليه الألفاظ الجديدة المسموعة يقول: "فإذا كان الأمر كذلك، لم تقطع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ، ما وجد طريق إلا تقبل ما يورده إذا كان القياس يعاضده، فإن لم يكن القياس مسوغاً له كرفع المفعول، وجرّ الفاعل، ورفع المضاف إليه، فينبغي أن يرد وذلك إلا أنه جاء مخالفاً للقياس والسّماع جميعاً لم يبق له عصمة تضيفه، ولا مسكة تجمع شعاعه"².

ويُعتبر "ابن جني" تلك الألفاظ المسموعة التي لم يتداولها الجمهور صحيحة إذا كانت قواعد اللغة تُجيزها، حتى لو كانت لا نظير لها في الألفاظ المسموعة مادام لم يسمع ما يخالفها وما لم ينقضها سماع أو قياس، فإن القياس جارٍ عليها كما جرى على كلمة شنوءة، (شنئي في النسب)، وهو قياس أحاد.

3. تركيب اللغات في كتاب الخصائص لابن جني:

"اعلم أنّ هذا موضع قد دعا أقواماً ضعف نظرهم وخفت إلى تلقي ظاهر هذه اللغة أفهامهم أن جمعوا أمناء على وجه الشذوذ عندهم وأدعوا أنها موضوعة في أصل اللغة على ما سموه باخرة من أصحابها وأنسوا ما كان ينبغي أن يذكروه وأضاعوا ما كان واجباً أن يحفظوه ألا تراهم كيف ذكروا في الشذوذ ما جاء على فعل يفعل على نحو نعيم ينعم ودمت تدوم ومت تموت وقالوا أيضاً فيما جاء من فعل يفعل وليس عينه ولا لامه حرفاً حلقياً نحو قلب يقلب، وسلاً يسلى وجبى يجيب وركن يركن وقنط يقنط.

¹ الخصائص، ابن جني، ج 2، ص 387.

² المرجع نفسه، ص 26.

وممّا عدوه شاذا ما ذكروه من فعلٍ فهو فاعل نحو طَهر فهو طاهر وشَعَرَ فهو شاعر وحَمَضَ فهو حامض وعَقَرَت المرأة فهي عاقِر ولذلك نظائر كثيرة. واعلم أنّ أكثر ذلك وعامته إنّما هو لغات تداخلت فتركبت على ما قدمناه في الباب الذي هذا الباب يليه هكذا ينبغي أن يعتقد وأشبه بحكمه العرب وذلك أنه قد دلت الدّالية على وجوب مخالفة صيغة الماضي لصيغة المضارع، إذ الغرض في صيغ هذه المثل إنّما هو لإفادة الأزمنة فجعل لكل زمان مثال مخالف لصاحبه وكلما ازداد الخلاف كانت في ذلك قوة الدّالة على الزّمان، فمن ذلك لأن جعلوا بإزاء حركة فاء المضارع والماضي جميعا وسكنوا عينيها أيضا قيل: كما فعلوا ذلك في الثلاثي الذي هو أكثر استعمالا وأعم تصرف وهو كالأصل للرباعي¹.

لم يُبالوا ما فوق ذلك مما جاوز الثلاثة وكذلك أيضا قالو: تقطع يتَقَطَّع وتقاَعس يتَقَاعَس وتَدَهَوَّر يتَدَهَوَّر ونحو ذلك لأنهم أحكموا الأصل الأول الذي هو الثلاثي فقل حلفهم بما وراءه كما أنهم لما أحكموا أمر المذر في التثنية فصاغوها على الفها لم يحفلوا لما عرض في المؤنث من اعتراض عَلم التأنيث بين الاسم وبين ما هو مصوغ عليه من علمها نحو قائمتان وقاعدتان، فإذا قلت، فقد نجد في الثلاثي ما تكون حركة عينيها في الماضي والمضارع سواء، وهو باب فَعَلَ نحو كَرَمَ يَكْرُم، وظَرْفَ يَظْرُف².

¹ الخصائص ابن جَنِّي، ج1، ص374، 375.

² المرجع نفسه، 376.

المبحث الثاني: الظواهر اللغوية الجغرافية في كتابي الخصائص والمحتسب لابن جني "نماذج مختارة".

1. الظواهر الصوتية (الإبدال، القلب، الحذف...)

أ. الإبدال:

تناول ابن جني في كتابه الخصائص الإبدال في باب سمّاه "باب في الفرق بين البديل والعوض" وذكر في هذا الباب أن البديل أشبه بالمبدل منه من العوض بالمعوض منه، وإنّما يقع البديل في موضع المبدل منه، والعوض لا يلزم فيه ذلك.

ومن نماذج الإبدال في هذا الباب:

قَامَ ← بدل قَوْمَ ← بدلنا الواو بالألف التي هي عين الفعل.

جَوْنٍ ← جَوْنٍ

يَاء مِيرٍ ← مِيرٍ ← هنا بدل للتخفيف في الهمزة.

غَارٍ، ودَاعٍ ← نقول اللام بدل من الواو.

أما في العوض: عِدَّةٌ وَزِنَةٌ ← نقول التاء عوض فاء الفعل.

تَاء زنادقة ← عوض ياء زناديق.

يَاء أُيُنُقٍ ← عوض من عين أنوق.

فالبديل أعم من العوض، فكل عوض بدل وليس كل بدل عوضاً.¹

¹ الخصائص، ابن جني، ج 1، ص 265.

كما تناول ابن جنّي الإبدال في كتابه المحتسب:

مثال 1: ما يروى عن الأعمش أنّه قرأ: {فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ} سورة الأنفال 57.

الشرح: فذهب أبو الفتح إلى أن تكون الذّال في (فَشَرَّدَ) بدلا من الدّال، ويستشهد بقولهم لحم خردال وخرّاذل ويُعلّل بأنّهما مجهوران ومتقاربان¹.

مثال 2: وقد ذكر ابن جنّي في كتابه المحتسب قراءة رويت عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم {والنّخلَ بِاسِقَاتٍ} سورة ق 10.

الشرح: باصقات بدل باسقات قال: الأصل السّين، وإنّما الصّاد بدل منها لاستعلاء القاف، فأبدلت السّين صادًا للتقرب من القاف، لما في الصّاد من الاستعلاء².

مثال 3: وفي السّقر، الصّقر، وروي عن الأصمعي قوله: اختلف رجلاّن من العرب في السّقر، فقال أحدهما بالصّاد، وقال الآخر: بالسّين فتراضيا بأول من يقدم عليهما، فإذا راكب، فأخبراه ورجعا إليه، فقال: ليس كما قلت، ولا كما قلت وإنّما هو الزّقر... ثمّ يذكر ابن جنّي العلّة الصوتيّة لهذا الإبدال بقوله: وذلك أنّ السّين مهموسة، والقاف مجهورة فأبدا السّين زايًا وهي مجهورة والزّاي أخت السّين كما أنّ الصّاد أختها، ويشير إلى أنّ هذا التّقريب بين الحروف باب طويل منقاد وهو في فصل الإدغام وما أصنعه وأطفه وأطرفه³.

¹ المحتسب ج 1، ابن جنّي، ص 280.

² المحتسب ج 2، ابن جنّي، ص 283.

³ المرجع نفسه، ص 283.

ب. القلب:

المثال 1: قد تناول أهل الحجاز وتميم القلب في الأمثلة التالية حسب كتاب الخصائص لابن جنّي في الجزء الأول والمتمثلة في قولهم: "هذه عشري وهؤلاء مسلمي، فقياس هذا على قولك عشروك ومسلموك، أن يكون أصله عشروي ومسلموي¹ فقلبت الواو ياء الامر بين كل واحد منهما موجب للقلب أحدهما اجتماع الواو والياء، وتسبق الأولى منهما بالسكون والآخر أن ياء المتكلم أبدا تكسر الحرف الذي قبلها إذا كان صحيحا نحو هذا غلامي".

المثال 2: في قوله تعالى {وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتَتْ} المرسلات 11

أَقْتَتْ ← وَقْتَتْ ← قلبت الهمزة واوا علّة ذلك أنّ الواو ضمّا لازما.²

كما تناول ابن جنّي القلب في كتابه "المحتسب"

مثال 3: قراءة أبي العالية {رَجَسَ الشَّيْطَانُ} سورة الأنفال 11، وقراءة الجماعة (رَجَزُ الشَّيْطَانِ) والدّي حدث في رجس من رجز: أن تأثّرت السّين المهموسة بالراء قبلها فقلبت إلى تعريبها الجهور وهو الرّاي.³

ج. الحذف:

التقت ابن جنّي إلى ظاهرة شائعة يعرفها المستعمل العربي غيره، حيث يميل المتكلم إلى حذف عناصر لغوية، رئيسية أو غير رئيسية من نظم العبارة، إمّا لأنها تتكرر، وإمّا لأنها تقدر في السّياق وقد وضع للحذف قواعد مبنية على تأويل تلك العناصر وإستنتاجها من المعنى الدّاخلي

¹ الخصائص، ابن جنّي، ج 1، ص 174.

² الخصائص، ابن جنّي، الجزء 3، ص 84.

³ المحتسب ج 1، ابن جنّي، ص 275.

للجمل، يقول "سيبويه" ¹ مبرزاً سنن العرب في الحذف: "واعلم أنه ليس كل حرف يظهر بعد الفعل يحذف فيه الفعل، ولكن تضرر بعدما أضمرت فيه العرب من الحروف والمواضع وتظهر ما أظهروا، وتجري هذه الأشياء التي هي على ما يستخفون بمنزلة ما يحذفون من نفس الكلام ومما هو في الكلام على ما أجروا، فليس كل حرف يحذف منه شيء ويثبت فيه نحو: يَكُ ويَكُنْ/ ولم أبل وأبال، ولم يحملهم ذاك على أن يفعلوه بمثله ولم يحملهم إذا كانوا يثنون فيقولون في مر أوامر [...] قف على هذه الأشياء حيث وقفوا ثم قس بعد" ².

وأكد ابن جنّي أنّ هذه العلة قد جاءت كثيراً في النظم والنثر على حد سواء، فالحذف مباح لما كثر استعماله، ودورانه في الكلام ³.

والتعليل عند ابن جنّي أهم مظهر عقلي، وبذل فيه أقصى جهد، فأشبعه بحثاً ودراسة وأطلق عليه العرب اسماً تشريفاً للعربية فسماه (شجاعة العربية) ⁴.

وانتقد بعض اللغويين العرب المحدثين ما سطره ابن جنّي في هذا النوع من التعليل، إذا اعتقد أحد اللسانيين العرب أنّ وجه الضعف بادي في هذه العلة.

نَبَّزُ ظاهرة الحذف عند ابن جنّي من خلال ما توصل إليه من تقنيين لأصولها النحوية، وقد درسها في إطار عناصرها المفردة، فتعرض إلى قواعد الحذف في الجملة وفي الكلمة المفردة سواء كانت إسماً، أو فعلاً أو حرفاً أو حركة، وبين الحذف المسموح به والمتقبل في قواعد اللغة،

¹ الكتاب، سيبويه، ج2، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، ط1، 1966م، ص265.

² المرجع نفسه، ص265.

³ الخصائص، ج3، ص362.

⁴ الخصائص، ج2، ص360.

والحذف المرفوض الذي يستغلق على الإفهام، كما يسر على الدارس ذلك عندما بَوَّبَ البحث في مواضيع الحذف¹ وقسمه إلى:

- حذف في الجملة²

- حذف الاسم³

- حذف الفعل⁴

وأجمل كلامه عن الحذف في هذا التقديم: "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته⁵."

ويُطالعا في بداية القول عن الحذف، حديث شامل عن صوره في أنواع الجمل البسيطة والمركبة الخبرية والإنشائية، ونذكر لما علل به أنموذج الجملة الطلبية، قال: "فأما الجملة فنحو قولهم: في القسم والله لا فعلت وأصله أقسم بالله، فحذف الفعل والفاعل، وبقيت الحال من الجار والجواب دليلا على الجملة المحذوفة⁶، وبعد التعميم نقل الحديث إلى صور تخصيص الحذف في عناصر الجملة، ثم في بيئة الكلمة".

أما الحذف في عناصر الجملة فعلى ثلاثة أضرب، اسم فعل، وحرف⁷ مع العلم أن صور الحذف يأتي مستساغا في نسخ العبارة، كما نرى في حذف قول العرب في جواب هذا الاستفهام

¹ الخصائص، ابن جنّي ج2، ص 360.

² المرجع نفسه، ص360.

³ المرجع نفسه، ص381.

⁴ م ن، ص 381.

⁵ م ن، ص360.

⁶ م ن، ص360.

⁷ م ن، ص361.

من عندك؟ فنجيب: زيدا، أي زيد عندي، وهذا واضح في قوله تعالى: {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ} محمد 21، وقدر أولهما على حذف الخبر، وذلك على الاختيار إن شئت كان على طاعة وقول معروف، وإن شئت كان على أمرنا طاعة وقول معروف.¹

تناول ابن جنّي في كتابه الذي بين أيدينا باب يتحدث فيه عن الحذف سمّاه "باب في أن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم المملووظ".

النماذج:

خير مَقْدَم ← أي قَدمت خير مقدم ← ثم حذف أيا قدمت في هذا المثال وهنا كان الحذف.

مررت برجل إن زيدا وإن عمرا ← أي إن كان زيدا وإن كان عمرا، ثم هنا التقديم والتأخير على مستوى المضمون وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم. مَبْرُورٌ مَأْجُورٌ ← أي قدمت مبرورا مأجورا للقادم من الحج، ثم هنا الحذف بغرض اختصار المعنى من أجل تجنب التكلف في الكلام.

كان رؤية إذا قيل له كيف أصبحت يقول: خير عافاك الله ← أي بِخَيْرٍ ← يُحذف الباء بدلالة الحال عليها يجري العادة والعرف بها.

كذلك في قراءة حمزة في قوله تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} النساء 1، ذلك أنَّ حمزة لم يحمل (الأرحام) على العطف على المجرور والمضمر، بل اعتقد أن تكون باء ثانية،

¹ الخصائص، ابن جنّي ج2، ص 362

فقال و(بالأرحام)، ثم حذف الباء لتقدم ذكرها، في نحو قولك: بَمَنْ أَمُرُّ، وعلى من تنزل أنزل، وتقل: أَمُرر به ولا أنزل عليه، لكن حُذف الحرفين لتقدم ذكرهما.

الَّذِي صَرَبَتْ زَيْد ← الَّذِي صَرَبْتَهُ نَفْسَهُ زَيْد ← وهنا الحذف الغرض منه التخفيف لطول الاسم.

راكب الناقة طليحان ← أي راكب الناقة والناقة طليحان وهنا كان التقدير على حذف المعطوف عليه¹.

كما أورد ابن جنّي الحذف في كتابه المحتسب أيضا، حيث تناول الحركة المحذوفة، قال عنها أنها قد تكون ضمة وهي الأكثر لثقل الضمة يليه حذف الكسرة، أما الفتحة فيذكر ابن جنّي أنها لا تحذف كما تحذف الضمة وعلة ذلك خفة الفتحة.²

(1) حذف الضمة: وهو إما أن يكون من الاسم أو من الفعل:

مثال 1: فمن الأسماء التي حذفت فيها الضمة تخفيفا كلمة (حُرْم) في قراءة الحسن وآخرين: {وَأَنْتُمْ حُرْمٌ} سورة المائدة 1، وذلك بإسكان الرّاء.

فيشير أبو الفتح إلى أنّ هذه اللغة تميمية ويستشهد لذلك بأمثلة من كلام العرب:

رُسُل ← رُسُل، كُتُب ← كُتُب.

وهو في هذه القراءة يعلل لإسكان (حُرْم) بقوله: إنّ في الرّاء تكريرا، فكادت تكون الرّاء الساكنة لما فيها من التّكرير، في حكم المتحرّكة: لزيادة الصّوت بالتّكرير نحو من زيادته بالحركة.³

¹ الخصائص ابن جنّي، ج1، ص284.

² المحتسب، ج1، ص274.

³ المرجع نفسه، ص205.

مثال 2: ومن الأفعال التي حذفت فيها الضمة تخفيفاً ما رواه عن لغة أهل تميم من قوله تعالى: {وَيَلْعَنُهُمُ} البقرة 159، فيرى أبو الفتح أنّ حذف الضمة هنا علته توالي الحركات مع الضمات، فيثقل ذلك عليهم فيخففون بإسكان حركة الإعراب، ويستشهد على صحة ذلك بقراءة صحيحة وهي قراءة أبي عمرو {فَتُؤْبَأُ إِلَى بَارئِكُمْ} سورة البقرة 54. بسكون الهمزة في بارئِكُمْ.¹

(2) حذف الكسرة: وهي أيضا حذفوها تخفيفاً.

مثال 1: حذف الكسرة من اللام الجارة في قراءة "الحسن" {وَلْيَتَصَغَى..... وَلْيَرِضْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا} سورة الأنعام 11، بجزم اللام في جميع ذلك.

قال أبو الفتح: "هذه اللام هي الجارة، أي لام كي وإسكانها قوي في القياس شاذ في الاستعمال، وذلك لأنّ هذا الإسكان إنّما كثر عنهم في لام الأمر تخفيفاً لثقل الكسرة فيها".²

مثال 2: ومن الأسماء التي حذفت فيها الكسرة كلمة (الحَبْك) في قراءة الحسن: {وَالسَّاءِ ذَاتِ الْحَبْكِ} الذّاريات 7. بكسر الحاء وسكون الباء، قال إنه مخفف من الحَبْك.³

(3) حذف الفتحة:

مثال 1: أمّا حذف الفتحة للتخفيف فقد ذكر ابن جنّي في تخريجه لقراءة "ابن محيصن" {أَمَنَةً نُّعَسَا} سورة آل عمران 154، بسكون الميم، أنّه لا يجوز أن يكون مخففاً من (أَمَنَةً) كقراءة الجماعة من قبل أنّ المفتوح لا يسكن بخفة الفتحة، وما ورد ذلك في الشعر فهو شاذ.⁴ إلا أنّه في قراءات أخرى أجاز حذف الفتحة تخفيفاً في موضع النصب تشبيهاً لها بالألف.

¹ المحتسب ج1، ابن جنّي، ص109، 110.

² المرجع نفسه، ص228.

³ المحتسب ج2، ص287.

⁴ المحتسب ج1، ص274.

مثال 2: كذلك ذكر قراءة جعفر بن محمد {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُنَ أَهْلِيكُمْ} سورة المائدة 89،

فذهب إلى أَنَّهُ أَسْكَنَ الْيَاءَ مِنْ أَهَالِيكُمْ تشبيها لها بالآلف.¹

(د) الوهم:

تناوله ابن جَنِّي في كتابه المحتسب ويقصد به كسر هاء الضمير.

مثال: اختلاف القرّاء في قراءة كلمة (عليهم).

من قوله تعالى: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} سورة الفاتحة 7.

فذكر أَنَّ فيها سبع قراءات هي:

عليهمُ: بضمّ الميم وإشباعها.

عليهمُ: بضمّ الميم دون إشباع.

عليهمُ: بسكون الميم وضمّ الهاء.

عليهمي: بسكون الميم وكسر الهاء.

عليهمُ: بكسر الهاء وسكون الميم.

عليهمُ: بكسر الهاء واو بعد الميم.

عليهمُ: مكسورة الهاء مضمومة الميم ومن غير واو.²

مثال 2: مِنْهُمْ ← مِنْهُمْ.

¹ المحتسب، ج1، ابن جَنِّي، ص218.

² المرجع نفسه، ص205، 206.

مِنْهُ ← مِنْهُ.

وقد نسبها العلماء إلى بعض القبائل، وحكم عليها بعضهم بالرداءة.¹

هـ) الوكم: من الظواهر الصوتية التي تناولها ابن جني في كتابه المحتسب وهو لهجة بني بكر بن وائل ويعني كسر كاف المخاطب للكسرة قبلها.

مثال: بكم / عليكم.

وحكم العلماء بالرداءة على الوكم.²

و) التلتلة: وقد ذكرها ابن جني في كتابه المحتسب وهي عنده كسر حرف المضارعة.

مثال: {فَأَنَّهُمْ يَأْمُونَ كَمَا تَأْمُونَ} سورة الأنبياء: 104.

قال أبو الفتح: العرف في النحو هذا أن من قال: أنت تتمن وتتلّف وأيلف، فكسر حرف المضارعة في نحو هذا إذا صار إلى الياء فتحها ألّبتة ولا يقول إستثقالا الكسرة في الياء.³

فهو هنا يذكر ما يكسر من أحرف المضارعة وهو التاء، والهمزة، أمّا الياء فلا يكسر، ويذكر أن علة ذلك هو أن الكسرة ثقيلة في الياء.

ومن ذلك قراءة "يحي" وآخرين عن "حمزة" {فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} سورة هود: 113.

¹ المحتسب ج1، ابن جني، ص43، 44، 45.

² المرجع نفسه، ص197

³ المحتسب، ج1، ص198.

قال: هذه لغة تميم، أن تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور، نحو:

علمت: تعلّم وأنا أعلم وهي تعلم، ونحن نركب، ونثقل الكسرة في الياء نعم يعلم ويركب استثقلا للكسرة في الياء... وكذلك {فتمسكم النار}.¹

ز) التّفخيم:

التّفخيم هو أثر سمعي ينتج من إرتفاع مؤخّرة اللّسان تجاه الحنك ورجوع اللّسان إلى الخلف.²

ويُقابل التّفخيم في اللّغة العربيّة التّرقيق وتنسيق الأصوات الصامتة العربيّة من حيث التّفخيم والتّرقيق إلى:

(1) أصوات مفخمة بطبيعتها تفخيما كليّا في أي سياق تقع فيه، فلا ترفق وهي أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ).

(2) أصوات ذات تفخيم جزئي، أي: تقمّ في مواقع، وترقّق في مواقع أخرى وتفخيمها مرتبط بالسياق الذي تقع فيه وهي (ق، غ، خ) وينسحب معها اللّسان إلى الخلف، وترتفع مؤخّرتة تجاه أقصى الحنك وقد سُميت هذه الظّاهرة بشبه التّفخيم. وقد نصّ علماء العربيّة على أنّ هذه الأصوات الثلاثة يجب تفخيمها إذا ورد بعدها فتح أو ضم.

¹ المحتسب، ابن جني، ج1، ص330.

² علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنّشر، د ط، 2000م، ص394.

مثال: قتل ← قاتل، خدع.....خادع، غلب.....غالب¹.

وقد تناول ابن جنى التّفخيم في كتابه المحتسب.

مثال: الطاء والطاء.

فقد أبدلت الطاء تاء في صيغة (فعلت) إذا كانت بعد حرف من حروف الإطباق، وهي

لغة تميم.

(ح) الإمالة:

وقد تناول ابن جنى في كتابه "المحتسب" الإمالة وهي عنده نوع من الانسجام الصوتي بين

الحركات يؤدّي إلى تغيير في الألف لأنّ الألف لا يكون من قبلها أبداً إلا مفتوحاً.²

ومن الأمثلة عن الإمالة وأشباهاها:

كتاب، حساب ← سبب الإمالة أنّ هناك كسرة متقدّمة يُفصل بينها وبين الألف

فاصل.

النّاس، النّار ← سبب الإمالة هناك كسرة متأخّرة.

رأيت عماداً ← إمالة لأجل إمالة فأُمِلت الألف المبدلة من التّووين لأجل إمالة الألف

الأولى.

فاصطادوا ← إمالة الألف بعد الطّاء.

¹ أصوات اللغة، محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي مكتبة دار المعرفة، ط2،

2007م، ص75، 76.

² المحتسب، ج1، ص219.

2. الظواهر الصرفية:

وقد استطاع ابن جني في كتابه المحتسب الذي يُعتبر خلاصة جهوده اللغوية المختلفة أن يُدرك الكثير من القيم الصرفية ذات الوظيفة الدلالية، والدلالة الصرفية نجدها عنده باسم (الدلالة الصناعية)¹.

ومن الظواهر الصرفية التي تناولها ابن جني:

أ) **الإشتقاق**: تناول ابن جني الإشتقاق في كتابه الخصائص حيث وضع له باب تحت عنوان (باب الإشتقاق الأكبر) وهو عنده نوعين كبير وصغير، ومن أمثلة المشتقات التي تناولها في كتابه:

مثال 1: (س. ل. م) فنحن نأخذ منه معنى السّلامة في تصرفه نحو: سلم، يسلم، سالم، وسلمان وسلمى، والسلامة والسليم.²

ومن المباحث التي طرقها ابن جني في باب المشتقات مبحث يقع وسطا بين الإشتقاق الأكبر والإشتقاق الأصغر وذلك أن تشترك كلمتان في حرفين فيتوافر فيهما معنى جامعا مهما اختلف الحرف الثالث.

مثال: (رَخُو) و(رَخُودٌ) فهناك تداخل شديد بينهما في اللفظ والمعنى ذلك أنّ الرّخو هو الضعيف والرخود هو المتثني، والتثني عائد إلى معنى الضعيف.³

كما تناول ابن جني الظواهر الصرفية في كتابه المحتسب ومن ذلك إشارته الصرفية الدقيقة لأوزان الجموع وتكسيورها وأسماء الجمع وصيغها.

¹ الخصائص، ج3، 98.

² المرجع نفسه، ص112.

³ المرجع نفسه، ج2، ص243.

مثال: "قَنَوَانٌ" بالفتح.¹

يقول أبو الفتح ينبغي أن يكون قنوان هذا إسما للجمع غير مكسر بمنزلة ركب عند سيبيويه والحامل والباقر وذلك أن فعلا ن ليس من أمثلة الجمع.²

وقد خصص بعض أوزان أسماء لدلالات معيّنة مثال ذلك:

وزن (فعلى) في التكسير كالسكرى مما يختص به المبتلون كالمرضى والموتى والهلكى وذلك أن السكر علة لحقت عقولهم، كما الصرع، والجرح، علة لحقت أجسامهم.³

كما أشار إلى ما يجمع بالتاء مثال ذلك: مغارات إذ يرى أبو الفتح أن مغارات جمع مغارة أو مغار، وجاز أن يُجمع بالتاء وإن كان مذكراً لأنه لا يعقل.⁴

ب) النسب: وتناوله ابن جنّي في كتابه الخصائص، وهو كل اسم بزيادة ياء مشددة مكسورة ما قبلها

مثال: فتى ← فتويّ

عم ← عمويّ

مُعْط ← معطيّ

قاص ← قاصيّ

حَنِيفَة ← حنفيّ

قريش ← قُرَيْشيّ

¹ المحتسب، ج2، ابن جنّي، ص264

² المرجع نفسه، ص223..

³ المرجع نفسه ج2، ص72.

⁴ المرجع نفسه، ص88.

سماء ← سَمَائِيٌّ.¹

3. الظواهر النحويّة:

إعتمد ابن جنّي في كتابه الخصائص في الأجزاء الثلاثة على ذكر الظواهر النحويّة بكثرة من بينها المثال التّالي المذكور في الخصائص ج1 في تعقيبه على التعليل التجريدي "لابن السراج" الذّي قال (إذا سئلنا عن علّة رفعه؟ قلنا: ارتفع بفعله، فإذا قيل: ولم صار الفاعل مرفوعاً؟ فهذا سؤال عن علّة العلة).

أ. المفعول المطلق

❖ مثال 1:

صَرَبْتُ زيدا أن صَرَبْتُ، والتقدير المنطقي ضربْتُ زيدا صَرَبًا.

أُظَنَّتْ عُمَرَا زَيْدًا عَاقِلًا ← أَظُنُّ عُمَرَ زَيْدًا عَاقِلًا ← هذا الاستبدال الذهني متعب لواقع الخطاب السليم، ومنطق غريب يمثله الواقع مثلاً "يستهن أبو عثمان ما أجاز أبو حسن الأخفش" حين اعتبر الفعل المؤكد بمصدر مؤول في تركيب المفعول المطلق صورة لغوية استنتاجية لما يمكن أن يقوله المتكلم العربي.²

ب. التوهم:

❖ مثال 1:

وهذه العلة ذهنية بالدرجة الأولى فُسِّرَتْ بها ظواهر تركيبية حيث يثبت كعذر لخطأ لغوي يرتكبه المبدع في لحظات الإبداع أو حين تهجم عليه المعاني، وقوالب اللغة وأعرافها اللسانية،

¹ المحتسب، ج2، ص264

² المرجع نفسه، ص271.

ومما علل به من توهم ما ذكرناه سابقاً¹ وما ذكره في المحتسب في مسألة إجراء الوصل مجرى الفصل، قال في حديث الوقف على المضاف: "كيف يحسن تقدير الوقف على المضاف دون المضاف إليه؟ وجوابه: أن ذلك قد جاء ألا ترى إلى ما أنشده أبو زيد من قول الشاعر في نصف هذا البيت المجهول: ضخم تجاري طيب عنصري.

أراه عنصري، فثقل الرأ لينة الوقف، ثم أطلق الإضافة من بعد² ونوع في تحليل وتقدير صور هذه العلة.³

(ج) التّقديم والتّأخير: تناول ابن جنّي في كتابه المحتسب نماذج لأنواع التّقديم سواء كان المقدم مبتدئاً أو خبراً في جملة إسميّة أو فعليّة، وهو يذكر لنا أنّ الغرض من التّقديم هو الغرض المعنوي وذلك لعنايتهم بالمقدّم.

مثال 1: في قوله تعالى {كشجرة طيبة أصلها ثابت} سورة إبراهيم 24، قراءة أنس بن مالك (ثابت أصلها).

فيذهب أبو الفتح إلى أنّ قراءة الجماعة (أصلها ثابت) أقوى معنى، وذلك أنّك إذا قلت (ثابتاً أصلها) فقد أجريت ثابتاً صفة على الشجرة وليس الثّبات لها، إنّما هو الأصل ولعمري إنّ الصّفة إذا كانت في المعنى لما هو من سبب الموصوف جرت عليه، إلّا أنّها إذا كانت له كانت أخصّ لفض به، وإذا كان الثّبات في الحقيقة إنّما هو الأصل، فالمعتمد بالثّبات هو الأصل، فيقدر ذلك ما حسن من تقديمه عناية به ومشاركة إلى ذكره.⁴

¹ الخصائص ج1، ابن جنّي، ص79.

² الخصائص ج3، ص353.

³ الخصائص ج2، ص215.

⁴ المحتسب ج1، ابن جنّي، ص362.

ثم يُشير في هذا الموضع إلى أنّ الغرض من تقديم المفعول بقوله: ولأجل ذلك قالوا: زيّدا ضربته، فقدّموا المفعول المطلق لأنّ الغرض هنا ليس بذكر الفاعل وإنّما هو ذكر المفعول، فقدّموه عناية بذكره، وأزالوه عن لفظ الفضلة وجعلوه في اللفظ ربّ الجملة، فرفعوه بالإبتداء، صارت الجملة التي كان ذيلا لها وفصله ملحقة لها في قولهم: ضربت زيّدا ثانية له، وواردة في اللفظ بعده ومُسندة إليه ومخبرا بها عنه.¹

مثال 2: ومّا أخّر فيه حرف الجرّ قراءة ابن عبّاس {يَسْأَلُونَكَ حَفِيٍّ عَنْهَا} سورة الأعراف 187، وقراءة الجماعة (كَأَنَّكَ حَفِيٍّ عَنْهَا) فهنا تأخير وحذف للجار والمجرور.²

4. الظواهر الدلالية:

أ. الترادف عند ابن جنّي في كتابه الخصائص.

قد بحث ابن جنّي عن الترادف في كتابه "الخصائص" والمراد بالترادف هو تعريف الترادف وأسباب وجوده في اللغة العربية والشروط من الكلمة المترادفة وأنواعه وكذلك فائدته، وسنبين ذلك فيما يلي:

(1) تعريف الترادف عند ابن جنّي: عرّف ابن جنّي الترادف كما يلي "فإذا أورد شيء من ذلك كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصيحتان، فينبغي أن نتأمل حال كلامه، فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال"³.

¹ المحتسب ج 1، ابن جنّي، ص 362.

² المرجع نفسه، ص 269.

³ الخصائص، ابن جنّي، ص 372.

❖ الشرح:

وسنجد هنا الترادف عند ابن جنّي هو اللفظتان اللذان تبادلا في الجملة دون تغيير معناها وذلك يعني أننا يمكننا تغيير المفردات أي المرادفات في التركيب اللغوي (الخطاب اللغوي) دون المساس بالمحتوى والمضمون ويكون الترادف ظاهرا في المستوى السطحي وهو التركيب اللغوي الأفقي والمستوى العميق المتمثل في الدلالة والمعنى فالترادف ظاهرة بلاغية بالدرجة الأولى تبين قدرة المتكلم في صياغة كلامه وذلك باختياره مفردات تناسب الأسلوب العام للخطاب وهذا ما تناولته "الأسلوبية" والبلاغة التي أساسها الكلام الفصيح "مناسبة الكلام لمقتضى الحال" فلكل مقام مقال" كما قال العرب القدامى والترادف من بين الظواهر التي كانت شائعة في أوساط المجتمع العربي القديم فكان للاسم الواحد عدّة مسميات مثل "السيف"، لكن "ابن الانباري" نكر ظاهرة الترادف في اللغة العربية واعتبر أن الاسم هو واحد والمسميات التابعة له هي صفات له".

وذهب أيضا "ابن فارس" في هذا المجال إلى أن الترادف غير موجود في اللغة العربية وإنّما كل مفردة في اللغة العربية تحمل معنى دقيق، وهذه خاصية في اللغة العربية.

ولقد قدّم ابن جنّي أمثلة في كتابه الخصائص عن ظاهرة الترادف المتمثلة في اللفظان اللذان يتبادلان في الجملة دون تغيير معناها، وقد قدم أمثلة على ذلك في الجملة:

(أ) في حديقة الحيوان السَّقر

(ب) في حديقة الحيوان الصَّقر

فالمعنى بين الجملة الأولى والثانية متساوي لأن المعنى بين كلمة "السقر" و"الصقر" سواء والفرق بينهما هو الحرف الواحد أي حرف "ساء" و"الصاء".

وسنجد هنا أن تعريف الترادف عند ابن جنّي هو الكلمتان أو أكثر المتناسبتان في المعنى ونستطيع أن نتبادل وقوع الكلمة (أ) بالكلمة (ب) في الجملة والعكس كذلك، فالمعنى من الجملة لا يتغير لأن (أ) تتضمن على (ب) و(ب) تتضمن على (أ).

(2) أسباب الترادف عند ابن جنّي:

ظهر الترادف في اللغة العربية منذ زمن قديم وهناك أسباب لوقوعه، وقد بحث العلماء على الأسباب المتنوعة العاضدة بوجود هذه الظاهرة، ولكل العلماء الفكرة المختلفة، وابن جنّي هو أحد العلماء الذي بحث عن أسباب الترادف، ومن فكرته عن هذه الظاهرة هي كما يلي:

(1) اختلاط اللهجة:

أحد أسباب وجود الترادف عند ابن جنّي هو اختلاط اللهجات بين مجتمع العرب. كما قال ابن جنّي في كتابه وهو "فإذا كثر على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت في لغة إنسان واحد، فإذا إحرى أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفاً منها من حيث كانت القبلية الواحدة لا تتوطأ في المعنى الواحد ذلك كله، هذا غالب الأمر وإن كان الآخر في وجه من القياس جائزاً"¹.

وكذلك من قوله وهو "كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات، اجتمعت الإنسان واحد من هنا ومن هنا"².

في العرب له قبائل متعددة، لكل قبيلة لهجات مختلفة التي اختلفت بعضهما على بعض في تسمية شيء واحد، وتفاعلت هذه القابلات المختلفة وقد تكون قبيلة واحدة تفهم لهجات قبائل أخرى، ثم غلبت اللهجة الواحدة على اللهجة الأخرى حتى يكون اختلاط اللهجات، وهم لا

¹ الخصائص، ابن جنّي، ص373

² المرجع نفسه، ص374.

يستطيعون أن يفرقون بينها، ثم جمع المجتمع العرب الكلمات المتساوية في المعنى التي تدل على الشيء الواحد بأسماء مختلفة ولها العلاقة في المعنى أو سمي بكلمة الترادف.

ومثال في هذا البيان في كلمة (صاعقة) و(صاقعة) والمعنى بينهما سواء¹ أما الاختلاف بين هاتين الكلمتين بسبب الاختلاف في نطق الحرف الواحد بين القبائل وحرفه هو "عين" و"قاف".

(2) اختلاط اللغة:

ومن أسباب ظاهرة الترادف الأخرى هي إختلاط اللغة في العرب كما قال "ابن جنّي": "وقد كان أبو علي رحمه الله أيضا قال به في بعض كلامه، وهذا أيضا رأي أبي الحسن على أنه لم يضع قول من قال إنها توضع منه، على أنه قد فسر هذا بأن قيل: إن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللغات: العربية، والفارسية، والسريانية، والروسية، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه، واضمحل عنه ما سواها لبعد عهدهم بها"².

كما كان وجوه الترادف في اللغة العربية بسبب اللهجات التي قد شرحت الباحثة قبله، وكذلك في اختلاط اللغة بين – اللغة العربية والفارسية والسريانية وغيرها – بسبب التفاعل بين الناس من البلاد المختلفة حتى يستطيعوا أن يتكلموا باللغتين أو أكثر، فلذلك غلب في استعمالها ولا يستطيعون أن يفرقوا ما الكلمة من اللغة العربية والفارسية والسريانية وغيرها حتى ذكر الناس الشيء الواحد بأسماء المختلفة التي لها إرتباط في المعنى.

¹ دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، أحمد عبد الرحمان حمادا التطور اللغوي، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1403هـ / 1983م، ص173.

² الخصائص، ابن جنّي، ص412.

على سبيل المثال الكلمة:

(أ) أقليد

(ب) مفتاح

والكلمة (أ) من لغة يونانية أما الكلمة (ب) من اللغة العربية¹ والمعنى بينهما سواء واستخدمهما المجتمع في بلاد العرب تلك اللغتين بسبب اختلاط اللغة بين العربية واللغة الأخرى.

3) تبادل الحرف

وأثر إختلاط اللهجات واللغة إلى تبادل الحرف في اللغة العربية حتّى يسبب إلى الكلمة المترادفة كما بين "ابن جنّي" وهو "وكلمما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات، إجتمعت الإنسان واحد، من هنا ومن هنا، ورويت عن الأصمعي قال: "إختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما "الصقر" بالصاد، وقال الآخر "السقر" بالسين فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر، أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معهما، وهكذا تتداخل اللغات، فقد وَضَحَ ما أوردنا بيانه من حال إجتماع اللغتين أو اللغات في كلام الواحد من العرب"². وكما مثل ابن جنّي عن تبادل الحرف وهو: بغداد، طبرزل، وطبرزن، أيم وأين، وغير ذلك التي تأثرت من اختلاط اللهجات في اللغة العربية³.

¹ المرجع السابق، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، أحمد عبد الرحمان حمادا التطور اللغوي، ص97.

² الخصائص، ابن جنّي، ص374.

³ المرجع نفسه، ص372.

قد بين "ابن جَنِّي" أن إختلاط اللهجات واللغات له أثر في تبادل الحرف في اللغة العربية كما مثل ابن جَنِّي في كلمة "الصقر" قالت اللغة الواحدة هذه الكلمة "بالصاد" والأخرى "بالسين" وبسبب الإختلاط بينهما فجمع المجتمع هذين الكلمتين في كلمة الترادف.

وأمثلة تبادل الحرف عند "ابن جَنِّي" سنذكرها فيما يلي:

(أ) عليك¹

(ب) عlish

الشرح: والمعنى بين الكلمة (أ) و(ب) سواء، واختلف الحرف من تلك الكلمتين بسبب إختلاط اللهجة واللغة في بلاد العرب أو ما يسمى "التغير في الصفات الصوتية" والصفة الصوتية هي طريقة خاصة في نطق الكلمات والأصوات وتختلف من جماعة إلى أخرى حسب اختلاف البيئة الجغرافية فللهجة الطارف مثلا تختلف عن لهجة عنابة فالطارف نجد أنهم يجرون الحرف الأخير من الكلمة بينما أفراد ولاية عنابة نجد أنهم يفخمون الأصوات ورغم التقارب الجغرافي بين هاتين الولايتين إلا أننا نجد بعض التغيرات الصوتية في نطق الكلمات لكل من هاتين الولايتين وهذا راجع لعدة أسباب وهي اختلاف الرقعة.

(4) القياس:

قد تحدث ابن جَنِّي عن القياس وإعتبره إحدى الأسباب لوجود الترادف في اللغة العربية، كما بين "ابن جَنِّي" في كتابه من باب _ في تدريج اللغة _ وهو: "ومن ذلك قولهم: الطِنَةُ بالطاء. في الطِنَةِ وذلك في إعتيادهم أَطْنَّ ومُطْنَّ وأَطْنَان كما جاءت الذكر على الأكثر من ذلك حذفهم الفاء على القياس، من ضِعَّة ونَفْحَةٍ كما حذفت من عِدَّة وزِنَةٍ ثم إنهم عدلوا بها عن فِعْلَةٍ

¹ الخصائص، ابن جَنِّي، ص351.

إلى فَعْلَةٍ، فأقروا الحذف بحاله، وإن زالت الكسرة التي كانت موجبة له فقالوا: الصَّعَّةُ والفَخَّةُ فتدرجوا بالصَّعَّةِ والفَخَّةِ إلى الصَّعَّةِ والفَخَّةِ وهي عندنا فَعْلَةٌ، كَقَصْعَةٍ وَجَفَنَةٍ، وكذلك بين "ابن جنِّي" عن القياس _ في باب إمتناع العرب من الكلام بما يجوز في القياس _ وهو: "مما يجوز في القياس وإن لم يرد به استعمال. والأفعال التي وردت مصادرها ورفضت هي نحو قولهم: فاذ الميت يفيضُ فيضًا وفوضًا ولم يستعملوا من فوظَ فعلاً وقالوا: رج مدَرهم ولم يقولو دُرهم وقالوا: رجل مفنود ولم يصرفوا فعله ومفعول الصفة إنما يأتي على الفعل، نحو مضروب من ضَرِبَ ومقتول من قُتِل¹.

كما تحدث ابن جنِّي عن اللفظ الذي يحتوي على المعنى في الباب الذي ذكرناه سابقاً وهذا مبني على البيان فلذلك سيغير المعنى من اللفظ إذا كان يبدل واحد من حرفه أو حركته، ولكن لا يرتبط بين المعنى ولفظه، فيقيس ابن جنِّي بينهما بمقاصد أن المعنى بينهما سواء والقياس لن يغير المعنى من اللفظ وقد ذكرنا "ابن جنِّي" مثال على ذلك².

(أ) الرجل يذهب

(ب) الرجل ذاهب

تستعمل الكلمة (أ) صيغة الفعل أما الكلمة (ب) تستعمل صيغة اسم الفاعل ولكن المعنى بينهما متساوي لأن ما فيه المشكلة إذا يقيس صيغة الفعل باسم فعله وهذا القياس لا يغير معنى الكلمة.

كما ذكر ابن جنِّي في كتابه الخصائص شروط الترادف وهي أننا نستطيع تغيير المفردات دون المساس بالمعنى العام للتركيب اللغوي (الخطاب).

¹ الخصائص، ابن جنِّي، 351.

² المرجع نفسه، ص 396 بتصرف.

ب. فائدة الترادف عند ابن جنّي متمثل في "الإستحسان" وهو تجميل الجملة بالكلمة المرادفة، يعطي الاختيار للمتكلم.

ب (التّضاد: وهو من "الظواهر الدّالّية" التي تناولها ابن جنّي في كتابه "المحتسب".

مثال 1: ذكر ابن جنّي قراءة ابن عبّاس وعروة بن الزّبير في جماعة غيرهما {جَنَاحَ الذِّلِّ} الاسراء 24، قال أبو الفتح: الذِّلُّ في الدّابة ضدّ الصّعوبة، والذِّلُّ للإنسان هو ضدّ العزّ، وكأنّهم اختاروا للفصل بينهما الضمّة للإنسان والكسرة للدّابة، لأن ما يلحق الإنسان أكبر قدرًا ممّا يلحق الدّابة، واختاروا الضمّة لقوتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدّابة.

الشرح: فالإنسان هو مُكرم عند الله تعالى على سائر المخلوقات فقد أنعم عليه سبحانه وتعالى بالعديد من النعم التي لا تُعدّ ولا تُحصى لذلك لابدّ من إعلاء شأنه على الدّابة.¹

مثال 2: من ذلك قولهم: حَلَا الشّيء في فمي يَحْلُو، وَحَلِيّ بعيني، فاختراروا البناء للفعل على فَعَلَ فيما كان لحاسة الذّوق، لتظهر فيه الواو، وعلى فَعَلَ في حَلِيّ لتظهر الياء والألف، وهما دقيقتان ضعيفتان إلى الواو لأنّ حسّ الناظر أضعف من حسّ الذّوق بالفم.²

الشرح: ويتجلّى التّضاد عند ابن جنّي في هذا المثال من خلال حاسة النظر وحاسة الذّوق فهو متضادّين فالذّوق عنده يسبق النّظر.

مثال 3: من الأمثلة أيضا التي أوردها ابن جنّي حول التّضاد.

¹ المحتسب ج2، ص18.

² المرجع نفسه، ص19.

جُمَامُ الْمَكُوكِ¹ دقيقا وجِمَامُ الْقَدَحِ ماءً².

الشرح: وذلك لأنَّ الماء لا يصلح أن يعلو على رأس الْقَدَحِ، كما يعلو الدَّقِيق ونحوه على رأس الْمَكُوكِ، فجعلوا الضَّمة لِقَوَّتِها فيما كثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يَقَلُّ بل يعدم إرتقاعه.

ج. المشترك اللفظي: وهو أيضا من الظواهر الدَّلَالِيَّة الَّتِي تناولها ابن جَنِّي في كتابه "المحتسب" وهو يعني عنده ما اتَّفَق لفظه في الحروف والحركات والسَّكنات أي اتَّحدت صورته من حيث اللفظ والحركات والسَّكنات وعدد الحروف.

مثال 1: (دِلَاصٌّ) للمفرد، و(دِلَاصٌّ وَهَجَانٌ) للجمع، قال أبو الفتح معقَّبًا على كلمتي (دِلَاصٌّ وَهَجَانٌ): "وذلك نحو قولهم درع دِلَاصٌّ وأدرع دِلَاصٌّ، وناقَة هِجَانٌ، ونوقٌ هِجَانٌ فالألف في دِلَاصٌّ في الواحد بمنزلة الألف في ناقَة كِنَاز، وإمرأة ضِنَّاك، والألف في دِلَاصٌّ في الجمع بمنزلة ألف ظِرَافٍ وشِرَافٍ"³.

مثال 2: وقد يكون المشترك اللفظي في اتِّفَاق اللَّفْظِيَّين واختلاف الحركات فيختلف المعنى.

مثل: (عُدَّافِر) للواحد بضمِّ العين و(عَدَّافِر) للجمع بفتح العين.⁴

الشرح: فاللفظان هنا متَّفَقان في الحروف ومختلفان في الحركات فهما هنا يدخلان تحت عنوان (اتِّفَاق اللَّفْظِيَّين واختلاف المعنيين).

¹ الْمَكُوكِ: مِكْيَال يسع صاعا، أو نصف الويبة، وهي إثنان وعشرون مَدًا بمدَّ النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم، وقيل غير ذلك، وجمامة: ما على رأسه فوق طفاقة، أي: ما ملا حروفه.

² المحتسب ج2، ابن جَنِّي، ص19

³ الخصائص ج3، ص110، 111.

⁴ الخصائص ج2، ص93.

ومن أمثلة المشترك اللفظي أيضا:

العين ← نقصد بها عين الإبرة وعين الإنسان وعين الماء، وعين حاسدة، فهي دال لعدّة مدلولات.

المغرب ← دولة، وصلاة المغرب، وتقهم من السّياق.

خاتمة

خاتمة:

التّرادف عند ابن جنّي هو ظاهرة قديمة تغلّغت في أوساط المجتمع العربي وذلك لوجود عدّة عوامل منها اختلاط اللّهجات، توسع الرقعة الجغرافية، دخول الأعاجم.

الظواهر الصوتيّة والصرفيّة والنحوية عند ابن جنّي هي نتاج لتطور المجتمع العربي القديم وربط ابن جنّي هذه الظواهر باللسانيات الجغرافية التي تهتم بالتغيرات اللهجيّة والصّفات الصوتيّة. ركز ابن جنّي في كتابه الخصائص بأجزائه الثلاثة على المستوى الصوتي لأنه اعتبره أساس اللغة وهذا ظاهر من خلال تعريفه الشامل للغة "حدّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". تتجلى ملامح الدّرس اللساني الجغرافي جلياً في كتاب الخصائص والمحتسب لابن جنّي من خلال:

أ) ربط اللغة بالرقعة الجغرافية.

ب) ربط اللغة باللهجة وذلك من خلال حديثه عن الاطالس اللغوية والتركيب اللهجي والذي حددها في ستة قبائل فصيحة "تميم، أسد، هذيل، قريش، بعض طي، بعض كنانة" ج) كما نجد ابن جنّي متأثر كثيراً بالثقافة الإسلامية والمدارس النحوية وخاصة "البصرة والكوفة".

نلمس من خلال منهجه التحليلي أنه متشبع بالثقافة العربية الإسلامية مع أنه فارسي الأصل. كما تتجلى ملامح الدّرس اللساني الجغرافي في كتابي الخصائص والمحتسب لابن جنّي من خلال ذكره:

أ) لشروط أخذ اللغة: فقد وضع شروط لأخذ اللغة ومن بينها الفصاحة، صحّة الرّواية "تاريخ ومكان" التاريخ الزّمني والمكاني 150 قبل الهجرة، 150 بعد الهجرة لأخذ اللغة (التدوين).

ب) وشروط يجب أن يتحلى بها الباحث اللغوي العربي.

كما تتجلى ملامح الدرس اللساني الجغرافي عند ابن جني من خلال تقسيمه لمستويات التحليل اللساني، المستوى الصوتي، المستوى الصرفي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي. ولقد ركزنا في بحثنا هذا على المستوى الصوتي في الجانب التطبيقي لأنّ ابن جني من بين الأوائل الذي وضع تعريف للغة واعتبرها أنها هي ظاهرة صوتية بالدرجة الأولى ثمّ تتوسع لتصبح ظاهرة إجتماعية وهذا ما أشار إليه دي سوسير في القرن 19م حينما عرّف اللغة على أنّها "ظاهرة اجتماعية".

كما تحدث ابن جني عن العامل والمعمول في الجانب التركيبي قبل كل العلماء وهذا ما تحدث عنه دي سوسير في المستوى التركيبي باسم المسند والمسند إليه.

كما أشار ابن جني في كتابيه الخصائص والمحتسب عن ظاهرة الترادف التي هي ميزة من مميزات اللغة العربية قبل كل العلماء فالترادف عند ابن جني هي ظاهرة دلالية بلاغية تزيد من غناء وثروة المادة اللغوية العربية فهي نوع من الشعرية والجمالية في الخطاب وهذا ما تحدثت عنه الاسلوبية "فن الخطاب" وما تحدث عنه "عبد القاهر الجرجاني" في نظريته "النظم" في باب التقديم والتأخير "الذي يفيد المعنى ويزيد من دقته وسبكه وهذا ما ذهب إليه الجاحظ في حديثه "عن حسن اختيار اللفظ" فاللفظ الشريف للمعنى الشريف.

وهذا ما تحدث عنه "بشر بن المعتمر" في صحيفته:

- إختيار اللفظ المناسب للمعنى المناسب.
- إختيار درجات المستمعين.
- إختيار الموقف الكلامي المناسب (ظروف الخطاب)، "المكان، الزمان، السياق".

نستنتج في الأخير أن كتابي الخصائص والمحتسب لابن جنّي كنز من كنوز اللغة العربية وثروة باقية حية لا تموت إلا بموت البشرية فيجب علينا نحن أبناء اللغة العربية الحفاظ على هذا الكنز وعلى هذا الموروث الثقافي العربي.

فكتاب الخصائص يُعتبر مدونة وموسوعة صالحة للدراسة والبحث في أي زمان ومكان.

نستنتج أنّ ابن جنّي له الأسبقية في تأصيل قواعد اللغة العربية وما غاب في زمانه هو "المصطلح" الذي أصبح علما قائما بذاته يُسمّى بعلم المصطلح أو المصطلحيّة.

تأثّر الدّراسات اللغوية الجغرافية الغربية بالدّراسات اللغوية الجغرافية العربية، وهذا ما نلمسه عند دي سوسير وماريوباى... إلخ.

تأثّر الدّراسات اللغوية العربية الحديثة بالدّراسات اللغوية العربية القديمة وهذا ما نلمسه في كتابات عبد الجليل مرتاض، ومازن الوعر، إبراهيم أنيس... إلخ.

وما عسانا أن نقول في الأخير إلا أنّ الانسان يحي لغة بشهادة ميلاد ويموت لغة بشهادة وفاة فهو كله لغة.

ونشكر الله الذي وفقنا لإتمام هذا البحث بخير وعافية دون مواجهة العراقيل والصعاب.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

القران الكريم على رواية ورش، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1988م.

(كتاب الخصائص، الجزء 1، 2، 3، وكتاب المحتسب لابن جنّي كمدونة للدراسة).

1. الخصائص، تحقيق محمد علي النّجار، طبعة دار الكتاب القومي، بيروت، 1952م.
2. المحتسب في شواذ القراءات والايضاح عنها، تحقيق علي نجدي ناصف، وعبد الفتاح إسماعيل شبلي، وآخرون، مطبعة توفيق عويضة، 1966م.

المراجع:

1. إحصاء العلوم للفرابي، تحقيق عثمان أمين، د ط، القاهرة، 1931م.
2. أحمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللغوي دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1403هـ / 1983م.
3. أسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م.
4. أصوات اللغة، محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي مكتبة دار المعرفة، ط2، 2007م.
5. تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1397هـ / 1977م.
6. الدّراسات اللّهجية والصوتيّة عند ابن جنّي، حسام النعيمي، بغداد، دراسات الرشيد، د ط، 1980م.

7. طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي، تحقيق محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط1، 2000م.
8. العربية، يوهان فك، ترجمة د. رمضان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، د ط، 1980م.
9. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، د ط، 2000م.
10. في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط، 2003م.
11. في اللهجات العربية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة مصر، ط8، 1992م.
12. الكامل، الفاضل محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة، دار الكتب، دط، 1956م.
13. الكامل، المبرد، تحقيق أبو الفضل شحاتة، دار النهضة مصر، القاهرة، ط3، 1417هـ/1997م.
14. كتاب أصول النّحو عند ابن جني دراسة لسانية في كتابيه الخصائص والمحتسب، د/ حليم رشيد، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الطبعة، 2010م.
15. كتاب المقدمة، ابن خلدون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، 1984م.
16. الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم القاهرة، ط1، 1966.
17. اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، عبد الجيل مرتاض، قسم البرمجة اللغوية العصبية، دار الأيام للنشر والتوزيع، د ط، تاريخ الإصدار 15 يناير 2018 عدد الصفحات 182.
18. اللسانيات المجال، الوظيفة والمنهج، أ/ سمير شريف، عالم الكتب الحديث، جدار الكتاب العالمي، عمّان الأردن، ط2، 2008م.
19. اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر، د ط، 1986م.

20. اللهجات العربية، نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1414هـ/1993م.
 21. المباحث في اللسانيات، أحمد حساني، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1999م.
 22. المزهر في اللغة، السيوطي، تحقيق حاد المولى وآخران القاهرة، ط1، 1418هـ/1998م.
 23. مفاهيم في علم اللسان، دكتور التواتي بن التواتي، دار الوعي للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د ط، 2008م.
 24. ينظر اللهجات العربية نشأة وتطورا، عبد الغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1943م.
 25. ينظر المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1997م.
- المعاجم:**
1. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة لغى، د ط، ج2، 2003م.
 2. معجم اللسانيات الحديثة إنجليزي عربي، د. سامي عياد وآخرون، مكتبة لبنان، د ط، 1997م.
 3. معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي، انجليزي، عربي)، مبارك المبارك، دار الفكر اللساني، ط1، 1995م.
 4. المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية، (إنجليزي، فرنسي، عربي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الدار البيضاء، د ط، 2002م.
 5. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (سن)، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، د ط، 1399هـ/1979م.

6. مفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني في مادة (سن)، تحقيق محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، د س.

المجلات والرسائل والأطروحات العلمية:

1. التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مازن عوض الوعر، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد (104)، 1427هـ/2006م.
2. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، دار بيروت ج1، 1377هـ/1957م.
3. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، فرديناند دي سوسير وتأسيس المفاهيم لأمات للسانيات والانسانيات، قسم التعليم الأساسي، كلية التربية، دنماد بدرية، vol29.No2 PP136. 2021 م.

الفهرس

الفهرس	ص
مقدمة.....	أ.....
الفصل الاول: تأسيسات اللسانيات الجغرافية وظهورها في الحقل اللساني.....	5.....
المبحث الأول: اللسانيات الجغرافية وعلاقتها بالمجالات اللسانية.....	5.....
1. تعريف اللسانيات الجغرافية.....	6.....
2. إهتماماتها.....	12.....
أ. المجال اللّهي.....	12.....
ب. الأطالس اللّويّة.....	18.....
ج. علاقتها بالمجالات اللسانية.....	23.....
المبحث الثاني: اللسانيات الجغرافية في الدّرس اللساني الحديث.....	25.....
1. إرهاباتها في الدّرس اللغوي العربي الحديث.....	25.....
أ. عند عبد الجليل مرتاض.....	25.....
ب. عند إبراهيم أنيس.....	33.....
ج. عند مازن الوعر.....	37.....
2. إرهاباتها في الدّرس اللساني الغربي الحديث.....	46.....
أ. عند دي سوسير.....	46.....
ب. عند ماريوباي.....	47.....
الفصل الثاني: ملامح اللسانيات الجغرافية في كتابي الخصائص والمحتسب لابن جنّي	
(نماذج مختارة).....	53.....

المبحث الأول: اللهجات والبيئات الجغرافية في كتابي الخصائص والمحتسب. لابن جني
56.....

1. ملامح اللسانيات الجغرافية في الدرس اللغوي العربي القديم.....56

2. شروط أخذ اللغة عند ابن جني.....63

3. تركيب اللهجات في كتاب الخصائص لابن جني.....64

المبحث الثاني: الظواهر اللغوية الجغرافية في كتابي الخصائص والمحتسب لابن جني
(نماذج مختارة).....66

1. الظواهر الصوتية (الإبدال، القلب، الحذف، الوهم...).....66

أ. الإبدال.....66

ب. القلب.....68

ج. الحذف.....68

د. الوهم.....74

هـ. الوكم.....75

و. التثنية.....75

ز. التثني.....76

ح. الإمالة.....77

2. الظواهر الصرفية.....78

أ. الاشتقاق.....78

ب. النسب.....79

3. الظواهر النحوية.....80

أ. المفعول المطلق.....80

ب. التوهم.....80

81.....	ج. التّقديم والتّأخير
82.....	4. الظواهر الدّلالية
82.....	أ. التّرادف
89.....	ب. التّضاد
90.....	ج. المشترك اللفّظي
92.....	خاتمة
96.....	قائمة المصادر والمراجع
101.....	فهرس الموضوعات